خمس سنين في مغاور الأسر

وتخليص ذمة في مصر

المؤلف

محمد عبد الرحمن الصباحي

1921م
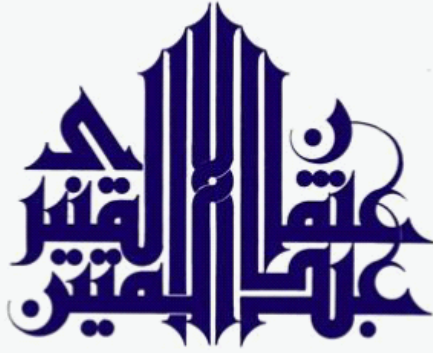
مالٹا جیل میں

حضرت شیخ الہند مولانا محمود الحسن دیوبندی رحمۃ اللہ کے رفیق

مصری صحافی محمد عبد الرحمن الصباحی کی نادر کتاب

جس میں حضرت شیخ الہند رحمۃ اللہ کی اکلوتی تصویر بھی شامل ہے

عبد المتین منیری۔ بھٹکل

ammuniri@gmail.com

محمد عبد الرحمن الصباحي

سأفنى ومالي غير رسم مخلد ٥ هو العظة الكبرى اذا انصرم الدهر

لقيت من الأسر الهوان فلم اضق ٥ وأهون شيء في رضا الوطن الأسر

مقدمة

بقلم الكاتب الكبير احمد بك حافظ عوض

قليلون من الناس في مصر يعرفون ان واضع هذا الكتاب محمد عبد الرحمن الصباحي كاتب أديب ، عربي النزعة ، بدوي الديباجة ، عصري الاسلوب. ولكن كاتب هذه السطور الذي يعرفه كاتباً محرراً في الصحف يغذيها بقلمه وآرائه ، بغير امضاء ولا رغبة في الظهور ، ينتهز هذه الفرصة ليقدمه لقراء اللغة العربية بكتابه هذا الذي جمع بين دفتيه وقائع تاريخيه ، وحوادث سياسية ، ومشاهدات شخصية ، في ظروف قاسية ، واحوال مؤلمة ، بل وفي مواقف تاريخية تجعل لهذا الكتاب ميزة على سواه ، سواء عن حوادث الحرب الاخيرة ، او عن ضروب الناس الذين احترقوا بنارها

ولقد كان صديقي محمد الصباحي ممن لفحتهم نار هذه الحرب، بل وممن أحرقت أبدانهم ، وكادت تودي بحياتهم ووجودهم ، وتقضي بخراب بيوتهم وضياع ثروتهم . وأنا الذي أعرف ما أصابه اكثر من كل انسان ، واعرف أن اضطراره للغيبة عن وطنه وآله وبلده ومصلحته قد كاد يودي بخراب أسرته ، ان لم يكن قد اودى فعلا لولا لطف الله ، وان صار حقه على باطل خصومه . اقول، انا الذي اعرف كل هذا، انني كنت اول الاسفين لما أصابه ، وأول المحزونين لما انتابه ، وانني بعد هذا كنت اول الفرحين لخلاصه ونجاح مصلحته بعد كل الذي كابده وعاناه

وكان حقاً علي أن اتقدم بكلمة لكتابه هذا حتى يعرف القراء قدر المؤلف وقيمة عمله وهو الذي يقول في مقدمة كلامه « وفي الصفحة التالية يقرأ مواطني كل ما يهم عن تاريخ الاسر وحياته ... وقد كان المصريون بين الاسرى الاجانب كالزهور المنتقاة من اجمل الحدائق » . فما احسن هذه وطنية من هذا العاشق الولهان بحب الوطن . فانه بعد كل الذي لاقاه — مما لم يحب ان يذكره — من بعض ابناء وطنه في الاسر لم ترض وطنيته الا ان يتغنى ، وهو يكتب عن الاسر وما فيه ، بفضائل بني وطنه . كاتب يجعل هذه النغمة أنشودته على قيثارته الحزينة ، لهو وطني صادق تسمو نفسه وقت العواصف ، واشتداد الكرب ، فلا تفكر الا في حب الوطن ، وذكر فضائل ابناء الوطن

كاتب كهذا يجب ان يصغي لانشودته كل ذى احساس شريف وشعور راق لانه شاعر فترة من الزمن — فترة محزنة يقص مآسيها ، ويغنيها على قيثارة قلمه الظريف الخفيف ، في مواقف اللطف والدعة، والعواطف الشخصية، والمشاعر القلبية،واذابه القلم القوى الرصين البدوى المتين يدوي كدوى الرعدووميض البرق في موقف الشدة والوطنية والاحتجاج على سوء المعاملة وظلم الظلمة . استمع له ايها القارىء الكريم وهو يصف حياة الاسير وشعوره واحساسه . يقول « تذهب انام وكأنك تذهب للسهر ، أو لتساهر النجم والقمر » ، . ويقول عن اخوانه في الاسر . « يهب الهواء فيصحون لهبه من غفوتهم ويتأوه واحدمنهم . فتنتقل عدوى تأوهه اليهم ، فتمسي غرفة الاسر معرض الاحزان . ومثار الآلام والاشجان . » ولو جاريت نفسي في هواها لاعدت نقل هاتيك العبارات الرقيقة البليغة التي وصف فيها الاسر والاسرى ، ولكني اكتفي بان اوجه الانظار اليها فان هذا الفصل من الكتاب مما تتنافس فيه القرائح ويود كل كاتب لو كان من قلمه وبيانه . وما على من يشك في قولي هذا الا ان يقرأ ذلك الفصل بامعان ليرى فيه محمد الصباحي كاتباً وشاعراً ومحللا للعواطف ومعبراً عن دقائق الشعور والعاطفة النفسية . ننتقل من هذا الفصل الذي كتبه المؤلف باحساسه وشعوره ، بل بدم فؤاده المكلوم ، وقلبه الموتور ، الى باب قانوني وبحث سياسي تحت عنوان « هل أسر المصريين قانوني » وأحسن ما فيه قوله « ان الضمانة الوحيدة لاهل هذا البلد الامين . . . هي العمل على ايجاد حكومة دستورية تحرص على منفعة الناس وحريتهم وتتنزه عن رذائل التحكم في الخلق بالباطل ، واضطهاد الابرياء بغير سبب ... الخ » وفي هذا اشارة الى ما لحقه ولحق اخوانه من ظلم الاسر بغيرحق ولا سبب وقد وجه في هذا الباب اللوم ومر الانتقاد الى الحكومة المصرية في ذلك العهد لان القائمين بالامر في وزارة دولة رشدي باشا لم يفكروا في ابناء وطنهم ، ولا عملوا ما كانت تعمله حكومات الدول المحاربة للحلفاء ، مثل تركيا وبلغاريا والنمسا والمانيا مع الذين اسروا من رعاياها ، ومع انهم كانوا محاربين ، بما كانت ترسله حكومات تلك الدول من المساعدات والاعانات والتوصيات بخلاف المصريين الاسرى الذي كانوا كالمساكين اليتامى لا حكومة تسأل عنهم ولا احد رعى مصلحتهم .

وفي هذا الباب ما يفتت الاكباد ويسيل المدامع أسى وحزناً . فلا حول ولا قوة الا بالله . ومع ان كتاب المؤلف عن الاسر وما لاقاه ، من شروره وبلاياه فانه لم يخله كذلك من المباحث السياسية القيمة فقد كتب في باب المسألة المصرية مايدل على سعة معارفه وطول باعه ويعجبني في هذا الباب بنوع خاص قوله « يجب ان لا يتسرب اليأس الي قلوبنا . ان الوطن لا يباع ولا يقبل مساومة لانه ليس حق الذين يقطنونه الان فقط ، وانما هو ملك اجيال مقبلة وتراث اجداد سالفة فأين نذهب بوجوهنا اذا فرطنا في حق الوطن يوم نلاقي اولئك الاجداد ؟ وبم نتق لعنات الابناء والاحفاد ؟ » . وما احسن هذه كلة توجه الى الذين يروجون مشروع ملنر — وهو الحماية المقنعة — والطوق يوضع في الاعناق ، ويطلبون منا أن تقره الامة وتقبله بمصادقة جمعية عمومية وطنية لبعض مزايا لا قيمة لها بجانب التصديق للانجليز على حقوق دائمة لهم وتثبيت مركز شرعي أبدي لخدمة اغراضهم . ونحن كما يقول المؤلف لا نملك ان نبيع حقوق ابنائنا واحفادنا من بعدنا . اما بحثه المعنون (كيف دخلت تركيا الحرب) فهو قول خبير كان في الاستانة قبل دخول تركيا في صف الدول الوسطي واعرف انه كان للمؤلف وسائل ووسائط تمكنه من معرفة الحقائق فهو في هذا الباب موضع ثقة وكلامه كلام مؤرخ صادق عارف بماجريات الحوادث في ذلك الوقت العصيب والفترة التاريخية . ولو شئت ان ادل على ما في هذا المؤلف من الفصول المختلفة والمباحث الشيقة والنغمات المرقصة ، آونة ، والمحزنة المؤلمة اخرى ، لذكرت للقارىء وصف الكاتب لفراق اهله وولده وحنينه لزوجه ولفلذة كبده ، ولذكرت له أيضاً وصف الكاتب للسجن ورزاياه وكيف عومل في محافظة مصر معاملة المجرمين وهو برىء وان يصح ان يكون له تهمة فلا تكون الا تهمة السياسي الشريف . وللمجرم السياسي معاملة كريمة غير معاملة المجرمين . ولكن أمور المحافظة في القاهرة كانت في ايدي قوم سوء . والخلاصة انني اشكر للمؤلف اتحافه ابناء وطنه بهذا الكتاب الجليل وأثني عليه أعظم الثناء لما اظهره من شريف العواطف الوطنية ، والمبادىء السامية الانسانية ، وأحث القراء على اقتناء هذا الكتاب فهو ذخيرة من الذخائر التي يتنافس في اقتنائها . وكفاني غبطة وسروراً انني حظيت بتقديم هذا الكتاب ومؤلفه الى ابناء وطنى الاعزاء ، والى اخواني الكتاب والادباء

القاهرة في ١٥ اكتوبر سنة ١٩٢١ — أ . حافظ عوض

الشعر في الاسر

للشاعر الفحل احمد افندي نسيم

همو وضعوا هذي القيود على اليد فيا حق أنصفنا ويا أمم أشهدي
ألان أن مهضوم الحقوق تبرءوا وأورده طغيانهم شر مورد
بني الاسر ان برهة كم الاسر فاصبروا عليه بجأش الرابط المتجلد
فأنتم أزاهير الرياض تجمعت أو الزهر لاحت في السماء لمهتد
وأنتم ظباة جيأتها جفونها ولم يزر جفن مرة بمهند
وما أنتمو الا الاهلة تختفي ويبدو سناها بعد سير مجدد
أو الدر في الاصداف صين يتيمه ليزهى بجيد اللابس المتقلد
وما الليث الا الليث في كل حالة وما خيف الا وهو غير مقيد
وما زدتمو الا ثباتاً على الاذى على رغم ارهاب ورغم توعد
وهل تنفع الاصفاد والشعب ناهض اذا كان قلب الشعب غير مصفد
عرفتم نعيم العيش والدهر ساكن وذقتم شقاء العيش والدهر معتد
فلم تتركوا امراً بغير اختباره فأنتم رجال الامس واليوم والغد
تفارقتمو والناس شتى طباعهم فكنتم دروس النفس في شر معهد
فمن عالم زاكي القريحة نابه الى سيد جم المحامد امجد
ومن قائم في سربه متعبد الى ضارع في كوخه متهجد
ومن مؤمن بالله رغم مصابه قليل التشكي بالاله موحد
وقابلتمو الايام وهي تنوشكم بعزم كشحوذ الغرار مجرد
فان سددت سهما من البغي نحوكم رميتم بسهم للثبات مسدد
ومن عشق الاوطان ضحى لاجلها بنفس وأبناء ومال وسؤدد

* * *

رويدك يا ابن النيل هذي حقائق رواها لك التاريخ غير مفند
فان كنت لم تقرأ حياتك آية عن الاسر فلتقرأ كتاب محمد

احمد نسيم

احمد لطفی بك

شيخ المحامين وصاحب الايادي البيضاء والمروءة والسخاء وكيل الحزب الوطني اعتقل شهراً بعد

اهداء الكتاب

الى كل من اصيب في سبيل البلاد شهيدا وجريحا واسيرا

محمد عبد الرحمن الصباحي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي خاتم النبيين « وبعد »
فهذا كتاب عن الاسر وحياته ، ومأساته وعظاته، اقدمه ليعرف قومنا
مانابنا، ويقفوا على حقيقةمصابنا، وليستضيء ببياناته من يكتب عليه الاسر
ويتعرض لويلاته، لان الحرب المقبلة أذا استمر نارها لابد ان يكون
إنأجيجها اوار لم تشهد الحروب السالفة مثيله بما تولده القرائح المتفننة
والافكار المتبرزة ، من الوسائل المهلكة ، والوسائط المدمرة. ويعتدي على
الحرية الشخصية، والقوانين الدولية، اعتداءاً يتناول الناس باشكال واسمة
ومصائب عامة ، سنة التطور ولن تجدلها تبديلا

فالحرب آتية لاريب فيها لان الصلح الذي قام على انقاضها لم
يراع فيه ارضاء الامم المغلوبة علي امرها وانما أملاه الفائزون على
خصومهم املاءاً ترك قلوبهم مكلومة بشروطه الجائرة ، وأدمغتهم ولعة
بتدبير أقرب الطرق للانتقام

وستظل الحروب قائمة مادام الوجود ، لانها آلات التنازع في البقاء
الذي عده العلماء ركنا من اركان قيام الكائنات، وغني عن البيان بعد ذلك

ان نعيد ماقيل « ان الحرب طبيعة ثابتة في العالم الانسانى »

ولا ينقض هذه الحقيقة الا تعميم الفكرة الاشتراكية الداعية الي المساواة بين الخلق جميعا وتحرير جميع شعوب الارض واستئصال فكرة الفتح والاستعمار من الوجود ، وجعل الارض والبحار والهواء حرة ينتفع بها الكل علي السواء ، وان يأخذ الحق والعدل ونصرة الضعيف مكان القوة والباطل وحب الذات والطمع ، وتخرج مباديء الرئيس ويلسون في نقطه الشهيرة الاربعة عشر من حيز القول المأثور ، الى حيز العمل المبرور ويطبقها دول الحلفاء علي أنفسهم كما طبقوها وزيادة علي اعدائهم

هنالك نؤمن بان العالم تقدم يقينا والافكار الحرة نجحت نجاحا مبينا واذا لم تصبح الحرب مستحيلة تماما لايكون قيامها سريعا .

وفي الصفحات المقبلة يقرأ مواطني كل ما يهمه عن تاريخ الاسر وحياته وقد أقصرت القول فيه علي العموميات وتحاشيت ذكر التوافه الشخصية حتي ، يجد فيه كل مطلع فائدة وما احتبست قلمى عن ذكر ذلك الا لان وجود الاسر كان غير طبيعي ولم ينتسب الاسري فيه لسن او طبقة اوطائفة واحدة ، ومع ذلك فقد كان المصريون بين الاسري الاجانب كالزهور المنتقاة من اجمل الحدائق ، لان جلهم ينتسبون لاسر عريقة في المجد ، قديمة المحتد ، أرجو ان اكون قد ترجمت في كتابي هذا عن عواطفهم وأن يتقبل القراء قولي فيغضون عن هفوته ويأخذون بأحسنه

« وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » انما الاعمال بالنيات وانما لكل امريء مانوي

محمد عبد الرحمن الصباحي

حرب ٩١٤ — ٩١٨

لايكون كتابي وافيا حتى يلم بملخص بسيط عن سبب قيام هذه الحرب التى ازعجت العالم واقلقت راحته فأتماما للفائدة نكتب هذه العبارة بأوجز عبارة

كان في العالم قوتان يتنازعان سيادته وكان يعبر عن كفتي ميزانهما بعبارة التوازن الدولى فكانت انكلترا وفرنسا وروسيا في ناحية، والمانيا وأيطاليا والنمسا في الناحية الثانية وكان يعبر عن الاول « بدول الاتفاق الودى » وعن الآخرين « بدول التحالف الثلاثي » وكان الراسخون في علم السياسة يرون ان الحرب لا بد وان تشب بين الناحيتين لتصفية حساب النزاع وتقرير غلبة فريق ترجح في العالم كفته وتقوم في الوجود سلطته وشوكته .

رأت انجلترا أن خطر المانيا عليها عظيم فبذلت الجهود الى أن أصلحت بين روسيا واليابان وضمت الاخيرة « بمعاهدة » لصفها ، وزادت همتها في بناء المراكب البحرية الا ان برنامج ألمانيا البحري أنزل بهامن الرعب شيئا كبيرا وخصوصا برنامج سنة ١٩٠٥ و سنة ١٩٠٨ و ١٩١١

فاجتهد الانجليز في انتقرب من المانيا وسووا الخلافات التي كانت بينهما في مسائل المستعمرات البرتغالية وسكة حديد بغداد وغيرها ولكن انجلترا لم تمز من مناظرتها بغرضها وهو منعها من مزاحمتها في البحر وعلي ذلك اعتقد الطرفان بأنها لا بد وان يتنازلا عاجلا او آجلا

ولم يك اصطبار الناحيتين على اعلان الحرب الا لمضاعفة الاستعداد وهذا هو السبب في انهم أضاعوا فرصتها في حادثة « اغادير » وسووا الخلافات التي عرضت لهم من جراء حرب البلقان الاولى ء أرضي النمسا ومطامعها .

وكانت هزيمة بلغاريا في حرب البلقان الثانية مدعاة لان تكشر النمسا عن انيابها لان انتصار الصرب لا يرضيها ويقلق بالها ولولا وقفة المركيز سان جوليانو وزير خارجية ايطاليا الذي قبح فكرة مهاجمة النمسا لصربيا ووافقته المانيا على ذلك لوقعت الحرب في سنة ١٩١٣ لا محالة

وايقن العالم أن كل تفاهم كان سطحيا لان بين الضلوع داءاً دويا وكان حتما ان يتبارى الانجليز والالمان لتقرير الرجحان وانفرد واحدة منهما بالسلطة المطلقة في سيادة العالم وان شئت قل استعباده —

ولم تكد تذهب رصاصات الفتى الصربي بحياة ولى عهد النمسا الارشيدوق فرانسز فرديناند وزوجته دوقة هوهنبرج في سراجيو يوم ٢٨ يونيو سنه ١٩١٤ حتي ارسلت النمسا انذارها للصرب فقبلته الا في نقطتين طلبت الاخذ والرد فيها ورفضت النمسا ذلك بتاتا لانها

كما قالت « عيل صبرها من دسائس الصرب واعتداءاتها » وما كانت المانيا لتتخلف عن نصرتها

واعلنت روسيا انها تقف بجانب صربيا وتؤازرها وما كانت انجلترا وفرنسا ليتخلفا عن مساعدتها

وفي الثامن والعشرين من شهر يوليو أعلنت النمسا الحرب على الصرب ثم عبأت الروسيا جيشها وأعلنت الحرب على النمسا في ٣١ يوليو وفي أول أغسطس أعلنت المانيا الحرب على روسيا وبقيت انجلترا لغاية تلك اللحظة توهم العالم أن في مقدورها أن توقف رحى القتال فاقترحت على المانيا ان تنسحب وتترك الصرب وروسيا يقاتلان النمسا ولو قبلت المانيا ذلك لكان سحق النمسا مؤكدا فتبقى انكلترا وحليفاتها في الكفة الراجحة عمرها وتبقى المانيا ذيلا لها تندب تخلفها عن نصرة النمسا طول حياتها

فالناحيتان عملتا حسابهما وكل تظن — لا بل توقن — بأن الغلبة لها وما علما أن هذه الحرب ستورطهم ورطة عظيمة وتوهن قواهم وهنا كبيرا وتترك الغالب والمغلوب سيان في العجز والضعف والامتهان هكذا نراهم الآن

اليس كذلك ؟

الاسر

« اسر » من باب ضرب شده بالاسار بوزن الازار وهو القد ومنه سمى «الاسير» وكانوا يشدونه بالقد فسمي كل أخيذ أسيرا وان لم يشد به وأسره من باب ضرب وأسارا أيضا بالكسر فهو « اسير » ومأسور والجمع أسرى « وأسارى » وهذا لك بأسره أى بقده يعنى جميعه

والاسير ثالث ثلاثة عطف الله عليهم بقوله جل وعلا « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا »

والحرب هى التي ولدت الاطماع وأوجدت الاسترقاق في العالم وبعد ان كان الآسر يقتل مأسوريه صار الناس لا يقتلون العدو بل يبقون عليه ليعمل لهم وكان للاسر قديما الحق في أعدام الحياة والابقاء عليها والاسري ارقاء يقومون بالاعمال التي تستلزمها حاجيات الاسرين

فكان عند العبرانيين مقرونا بالتعطف والتلطف ولو ان مقام الاسير عندهم كان كمقام الماشية ولكن كما ان صاحب الدابة لا يرضى بتحميلها فوق طاقتها كذلك شأن السيد الحكيم لا يلزم اسيره بعمل يزيد عن الحد .

اما الاغريق فكانوا يؤيدون فكرة استعباد الاسري ولم ينكره كبراؤهم أو فلاسفتهم حتى ان ارسطو نفسه قال في الإسير انه « آلة ذات روح أو متاع حي »

وكان النخاسون عند الرومان يرافقون الجيوش عادة وكثيرا ما كان يتفق بيع آلاف من الاسرى بأثمان بخسة وذلك عقيب فوز عظيم وكانت العادة في روما ان يبيعوهم في المزاد فكانوا يوقفونهم على حجر مرتفع بحيث يتيسر لكل واحد ان يراهم ويمسهم بيده ولو لم يكن له رغبة في الشراء وكانوا يقسون عليهم

اما العرب فقد كانوا يعاملون اسراهم باللطف والمجاملة ولا يحرمونهم من افتداء انفسهم وكان للخليفة ان يطلق سراحهم ثم كانوا من جهة اخرى يفتدون بأموالهم من يقع في الاسر من اخوانهم واول من افتدي اسرى المسلمين بالمال هرون الرشيد العباسي سنة ١٨٩ ﻫ وكان الفداء قبله يقع بالمبادلة النفر بالنفر واشهر الافدية ثلاثة عشر وكلها في ايام بني العباس وآخرها جرى في خلافة المطيع لله سنة ٣٣٥ ﻫ وبلغ عدد الذين افتداهم الخلفاء في هذه المدة نحو ٥٠٠٠٠ خمسين الف نفسا وكان الفداء يقع غالبا في « اللامس » من سواحل بحر الروم قريبا من «طرطوس» ويحضره جمهور من المسلمين والروم وشهد الفداء الاول نحو نصف مليون نسمة بأحسن ما يكون من العدد والسلاح والخيل حتى ضاق بهم الجبل والسهل وجاءت مراكب الروم بأحسن ما يكون من الزى ومعهم الاسارى وكان عدد الذين فودوا فيه ٣٧٠٠ ثلاثة الاف وسبعمائة وفي ذلك يقول مروان بن ابى حفصة يخاطب الرشيد من ابيات

الكبتن هوفمان وعقيلته وعطا حسني بك والمؤلف

خليل باشا والد أنور باشا

الذي أفرج في الحال عنه بعد تهديدات ولده

وفكت بك الاسري التي شيدت لها محابس مافيهـــا حميم يزورها
على حين اعيا المسلمين فكاكها وقالوا سجون المشركين قبورها

وكانت العرب تتفاخر باكرام الاسري وملاطفتها ومن ذلك قول احدي القبائل

ملكنا فكان العفو منا سجيـة فلما ملكتم سال بالدم ابطح
وحللتموا قتل الاساري وطالما عدونا على الاسري فنعفو ونصلح
وحسبكموا هذا التفاوت بيننـا وكل اناء بالذي فيه ينضح

هذه صور الملوك الذين قامت الحرب عليهم
(ومعهم انور باشا وطلعت باشا)

سألونا عن حالنا كيف انتم — من هوى عرشه فكيف يكون
خاننا الدهر واستطال علينا — وكذا الدهر غادر وخؤون
عظة تملأ النفوس اعتبارا — وقضاء مع الثبات يهون

حياة الاسر

يغني العاشق على ليلاه ، ويتغني الثرى بغناه ، ولكل امريء في العالم الحر شأن يقضيه وحظ يمرح فيه ، يتنعمون بالطبيعة وجمالها ، ويفرحون بالحياة ومظاهرها . يسيرون كما يسير الاشداء . في عوالم الاحياء يرون بعين الحقيقة لا الخيال ، وعجيب أن تري الكثير غير راض بهذا الحال . ولو فكر هذا النفر الخلى . في بلاء الاسير الشجي لرأى أن نهاية تعاسته . هي غاية الاسير في حياته .

ان التعساء في عيشهم . الاشقياء بمعاندة الزمان لهم . البؤساء بموارد حرموها . وانعم فقدوها . ومتاعب يتقلبون فيها . ومصائب رزؤوها وبلايا صلوها . سعداء اذا قورن حالهم . بحال الاسري اخوانهم وأين الثريا من الثري والخلد من لظى . ! !

وأن اليتيم الذي مات ابواه . واشقي من اصابة القدر في الحياة . وفيهم فاقد الثراء والترف . والمحكوم عليهم من المجرمين . والمحرومين والمساكين والمرضى والمجروحين . والمصابين في عقولهم والمتوهين لايؤخذك فيهم حنان ولا شفقة . اذا ذكرت بجانبهم اخوانك الاسري

أتري ماهو مثالهم ؟ وما هى حقيقة امرهم ؟ اذا اردت الحقيقة المجردة . ونشدت الضالة العارية فاني اخشى عليك وانا اعالج وصفها .

أن يعتريك ما يعتري المشاهدين لتنفيذ بالاعدام . من شدة التأثر والالآم .

الاسر وما ادراك ما الاسر ؟ حياة الذل والقسر . يعتريك فيها من الذهول مايعتري المجانين . ويصيبك فيها من الاذي مالا يصيب بعضه أشق المجرمين . تري الشر يحيط بك ولا تستطيع له دفعا . والبلاء ينحط عليك ولا تقدر عليه رداً .

تضحك لترضي اخوانك ، ولا تجد من يبكي لاحزانك، تذهب لتنام وكأنك تذهب للسهر . أو لتساهر النجم أو القمر . لانك لايأتيك النعاس الى السحر . تتقلب على فراشك . تقلب المحمومين . وبجوارك أقرانك بفراشهم متزملين . يهب الهواء فيصحون لهبه من غفوتهم . ويتأوه واحد فيهم . فتنتقل عدوى تأوهه اليهم . فتمسي غرفة الأسر معرض الاحزان ومثار الشجون والاشجان . ثم يعود السكوت لحاله وينصت المتنومون . كأن على رؤوسهم الطير . من اشتداد الهموم والضير

أتري القطيع في زرائبه . يحبسونه الى أن تأتي للذبح نوبته . فكذلك الأسير يظن أن لن تنفك اسارته . وانه سيلاقي مصابها . الى ان تحين منيته .

او رأيت الثاكلة وليدها بعد ان ترعرع ووصل فتاءه . أو المحروق زرعه بعد أن تم نماه او الذي خرج من يساره . خروج آدم من جنانه

محمد بک باری

وکیل میناء الاسکندریۃ ورجل الاعمال والادارۃ

اشرف بک

ثم تنفذ حسرته الى القلب ويستقر حرها في الفؤاد واللب . كل هذا لا يكفي لوصف بعض ما نعانيه ولا هو رشاشة من محيط البلاء الذي منينا به ووقعنا فيه .

الأسارة والموت توأمان. أو هما في الواقع صنوان . الا ان في الموت لذة الراحة الابدية من عناء الحياة الدنيوية . يكاد يكون كالاستغراق في حلم طويل لا ينتهي بيقظان . ولا فيه آلام ولا آمان ومثل الاسير كالميت الذي كلما فرح بخلاصه من الدنيا وأقذائها وشقائها وهمومها بعد مرض اجهده واجهد اقرباه فأعياهم وافقده الحياة . يرى نفسه حياً حياة فجائية ، ليشهد في نفسه تكرار تمثيل البلية فنحن معشر الاسرى يتجدد الموت والبعث فينا كل يوم مرة ونعاني من جراء ذلك البلاء والحياة المرة

لو جاءنا الموت فشربنا من جرعته وتجرعنا كأس مرارته لوجدنا فيه الخلاص والرضاء والراحة والهناء لأن القبور وما فيها خير من حياة الاسر التي نحياها وامتداد الجسد في ظلماتها بفضل الاستمرار في هذه الحياة الثقيلة وسآمتها

ان الشمس وشعاعها والقمر والنجوم وضياءها والنهار وبياضه والليل وحلوكته والسماء وما فيها والارض واديمها والناس الذين نراهم من بين المأسورين او في خدمتهم او أولئك السجانون عليهم كلها اصبحت كالبنيان الثابت الذي يضمنا نظنها كالاحجار الصمة أو الخشب المسندة

وأولئك الذين يروحون بأوراق في ايديهم يقرأونها او دروس يتعلمونها وأولئك الذين يضيعون في ورق اللعب او النرد اوقاتهم ، او يتبادلون النكات او يتذاكرون في الحروب والمناورات او يلعبون الكرة او يتشاجرون او يصخبون او يضحكون او يبكون او يبسمون فهم اما انهم يضحكون من انفسهم لينسوا مشاغلهم او ماتت عواطفهم

مرحبا بنار الحرب نصلاها دفاعا عن اوطان عشقناها فأما فزنا بنصرها او لقينا الله في سبيلها وتركنا فخار الدفاع عنها لاسرة تتوارثها ومرحبا بصوت القنا والقنابل ووقوع الاخوان في ميادين الشرف من بين اليمائن والشمائل ومرحبا بعضو نفقده او روح تضيع في الميدان ولا مرحبا بالاسارة فأن فيها ما لا يطيقه الانسان

شخصيتك تنساها وحياتك تسأمها ويصبح وجودك بلاء عليك والموت احب الاشياء اليك ولكن . . . . . . ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تسمع بائعاً حقيرا ينادي من جوار الحائط على سلعته فتتمني وانت من عظماء العسكريين او اكابر الملكيين لو كنت مكان بائع العنب أو التين

ويصل لأذنك صفارة باخرة أو ترى عينك في السماء طائراً او طائرة فتود لو كنت خشبة في الاولى او ريشة في جناح الثانية

وعندنا حديقة فيها الورد والياسمين ومختلف الزهر والرياحين لكننا

نتخيل زهورها باقات لتحلية القبور لا لتنفيح الانف بأسحي العطور او لتزيين الصدور

وعندنا موسيقي تنقلب ادوارها الشجية الي نغمات مأساة او مرثية كلما وصل صداها الي الآذان فتجدد الاشجان والاحزان

وفي ايدينا اموال من غير موضعها لانعرف كيف نستثمرها او نستفيد منها اللهم الا اذا تغلبت البلادة على الشمم وعدم الاهتمام علي الهمم فهنالك تتبعثر في تضخيم الابدان اوزينة الانسان ومن العجيب ان من امتلأت يده بها كمن خلت منها كلاهما في الحزن سيان فالذى عنده يود لو صرفها في محلها والذي حرمها يود لو لم تصبه يد الحدثان بالحرمان

ويأتي البريد فتتطلع اليه الانفس المحرومة من اولادها البعيدة عن اهلها المنتزعة منها بيد الغادر الشرير كما تنتزع خيوط الحرير فواحد يصله خطاب وثان يعود من الغنيمة بالاياب فالذي اخذ من بيته كتابا ود لو كان اثنين وكانت سطوره ضعفين ان كان في الكتاب خبر الصحة والسلامة وان كان فيه خبر اشتداد الحياة بأهله والضيق لغيبته بزوجه وولده او حوى نعيا ود لو كان عند اهله نسيا هنالك تخنقه العبرات ويبلل الارض بلآلىء الدمعات

ويظن الذى لم يصله شىء بأهله سوءاً يملأ الغيظ نفسه ويكدر الهم عيشه وكأن الايام لم يكفها ان تحرمه من رؤية ذويه وتحجر قلوب آسريه فزادت عذابه ضعفين !!

ويأتي روتر ببرقياته واكاذيبها ومدهش مبالغاته في تراكيبها كلمات مرصوصة رصا محكما وموضوعة في التضليل وضمامر تبا فيجتمع الناس حلقات لاستماعها فأن جاء لهم عنواً فيها خبر انتصار قوبل بالتهويل والاكبار وان حوت عبارة انكسار قابلوها بالصغير والصغار ثم ينفضون فيجتمعون جماعات جماعات للتناقش فيها وامامهم خرط موضوعة كأنما هيئة اركان حرب جلست لتنفيذ الكذب وتفريج الكرب لا لتقرير النزال والضرب ثم تنقلب الهيئة المذكورة من قادة مهمين الى متنبئين ومتكهنين وهنا تحتدم المناقشة وتجر غالبا للسفه وحينا للمماسكة وربما يتخاصم المجتمعون يوما او اثنين لتضارب فكر او اختلاف رأيين وبعض الاسري يتطلب من الناس ان لا تقف الا على رايه ولا تنطق الا بلسانه وفكره وان تفقد شخصيتها في شخصيته وتفنى ذاتها في ذاته

وآخرون يجرون في اركاب ينبح وينادون على غيرهم ليضحك لضحكهم وهناك نفر آخر لايعجبه العجب ولا يرضيه طرب وغالب الناس مرضى بحب الثناء عليهم والتكلم فيهم وغيرهم لاينامون ولا يستيقظون الا اذا طعنوا في الغير في غيبته وانتقدوه حتى اذا لحوه قاموا له وحيوه وكالوا له الثناء جزافاً واكبروه

وغير هؤلاء يريد ان يكذب فيؤمن السامعون ويضحك فيصفقون ويهذر بارد الهذر فيتصنعون الضحك ويقهقهون وبعض الناس لا الي هؤلاء ولا الي هؤلاء رضوا بالوحدة في الشقاء ورأوا في العزلة الهناء

صديقنا الدكتور حسن نور الدين

قبض عليه مراراً بتهمة الحماس والغيرة والتطرف

وصاحبوا انفسهم في خير ما يصيبهم وشره وحلوه ومره

وفيهم مذهول يضحك في الحزن المبكي ويبكي في المطرب المشجي ذهب الأسر بعقله كما يذهب المرض المزمن بقوة المصاب فيضعف الجسم ويؤثر على الاعصاب

وكثيرون يظنون أنفسهم أسري وعلى الآخرين أن يلاطفوهم ليخففوا لوعات صدورهم وآثار الاسر فيهم

ومن الناس من نسي وظيفته الحقيرة وتطلع الى منازلة غيره ممن كانوا في حال أحسن من حاله وكادلهم الزمان باضغانه ويظن هذا الضرب من العالم الممقوتين أن الاسارة ساوت بين الناس أجمعين وهل في الاسر مزية بين كبير ووضيع ومحتشم ورقيع ؟ يظنون الاسر مقام الانتقام ممن سموا في الحياة الحرة عليهم .

يارحمة لأولئك الاسرى الذين ضاع بأسرهم نراهم وفقدوا باعتقالهم ماملكته ايمانهم وشاهدوا وهم أحياء جنازة مجدهم الى أن ووريت في ثراها ورسبت في قبرها فاصبحوا كما قال السيد البكري « ولا دولة ولا بأس ولا صولة »

كأصنام الجاهلية في الملة الاسلامية كانت بالامس أربابا فأصبحت أحجاراً أصلابا

وإذا بأهل النعمة في بلاء مبعدون في جزيرة جرداء بعد أن كانوا ممتعين بجنان ورفاء وسعادة وهناء يمشون مشية الذليل الخاضع

بعد ذلك المجـــد الساطع ولا ميزة ولا فارق بين أسير وأسير فالخفير فيها كالامير

رب هل تتساوى — على حد قول البكري — الاشياء اذا تساوت الاسماء ؟ ؟ اين ذباب السيف من ذباب الصيف واين السنبلة الخضراء من سنبلة السماء ؟

***

واما حياة الاسر في ذاتها فالملالة بعينها ويقيني انك لا ترضى عنها اذا دفع لك اجر على تكرار تمثيلها

امامك العاشق الولهان في معشوقة الحسان او المتغزل في بهاء الظبيات وبدائع الجمالات او العاكف على فن من الفنون او الصالح وبالصلاح مفتون او المحب المنزل ودرته زوجته ونجومه صبيانه وصبيته او المتهود في المال وجمعه او الغير ممن ينكبون على غية يطيرون بها او محبوبة يستميتون في حبها او سممت حياتك عن استمر ملازما لغرامه سنينا يستيقظ عليه ويسعي طول يومه اليه ويقوم وينام في هذا العشق والغرام ؟

لو كانت تكنة « فردالا » جنة الخلد والاقامة لامقر الضيق والاهانة وترك للناس حرية البقاء فيها بعيدين عن أوطانهم وأهليهم وأموالهم وذويهم لفروا منها جماعات ووحدانا وابركوها تنعق فيها البومة والغربان ولا ينعمونها بالوجود والعمران

وهل في الوجود شيء يساوي حريتك التي تتمتع في ظلها وحياتك

الحرة تهبها لوطنك يحيا بها تروح وتغدو كما شئت وشاء هواك وتقترب من هويته وهواك وتفر ممن ضايقك أو عاداك والا فما أصعب الاسارة كلما بصرت بنفسك فوجدتك محاطا بمن يكرهونك ولا تستطيع ان تفر منهم ويعجزونك ولا تملك الابتعاد عنهم ويضطرك وجودك الغير طبعي ان تركب اصعب الاهوال وانت عالم بركوبها فتخالف ضميرك وتعيش معذبا تبكي نفسك وبعادك عن ولدك واهلك وفراقك القاسي لوطنك

***

ومثل المأسور كمثل المقبور تري واحدا متمنطقا بأحسن الثياب متحليا بأجمل الجلباب وآخر رث الهيئة واللباس فتتملكك الحيرة ويصيبك الالتباس كلما فكرت في الحكم من الهيئة علي الناس . لأن الاسارة ومن فيها كالقبور وما تحويها والغالب في ان مقابر الظلمة من الملوك والامراء والسفلة من البخلاء والاغنياء عملت فيها أيدي المهرة من النقاشين فابدعتها نقشا والرسامين فأودعتها تصويرا وفنا وبجانبها قبور الصلاح والعاملين والابطال والمجتهدين والشهداء والغازين عارية من البهاء خلوة من الجمال والرواء فهل تستطيع ان تتبين أيها مودع الحكمة ومنبع الفضيلة وايها علم الفساد ومستودع الرذيلة ؟ من غير أن ترجع للتواريخ وبطونها والصحف الدارسة واخبارها ؟ كذلك يتعسر عليك أن تحكم علي الاسري من الازياء أو بمقدار ماتراه فيهم من السخاء لان عقلاء

المأسورين وسراةالاسر الحقيقيين لبسوا لحالةالاسر لبوسهاواخشوشنوا في حياتها وأما الخدم والانطاع فكانوا يلبسون الجديدويظهرون بالمظهر البهج السعيد

فاذا اردت ان تعرف الاسري فارجع الي ماآتوه في الايام الماضية قبل أن تصيبهم هذه الداهية .أواصبر حتى ينفكوا من اسارتهم وارقب أعمالهم ثم احكم بعد ذلك عليهم

معاهدة (لاهي) وأسري الحرب

١ لايصح بأي حال من الاحوال أسر غير العسكر المحاربة

٢ يجب ان يكون أسرى الحرب في يد الدولة التى أسرتهم وليس تحت تصرف الضباط أو الجنود

٣ يجب أن يسمح لهم بتأدية طقوسهم الدينية

٤ يجب أن يسهل لهم طرق الحصول على الطرود والهدايا من أي جهة

٥ لكل دولة الحق في ان تتخذ الاجراءات التي تراها لمنع هربهم

٦ يجب أن يعاملوا نفس معاملة جنود الدولة الآسرة مأكلا ومشربا وملبسا ويصح اخلاء سبيلهم بعد ان يعطوا كلمة الشرف بأنهم لا يشتركوا في الحرب مرة اخرى

٧ يجوز تشغيلهم في أى عمل عدي الاعمال الحربية ويدفع لهم اتعابهم وللسلطة الآسرة ان تحبسهم

صهر أمير الشعراء شوقي بك

صديق الأثر وعزيز النفس
البكباشي حسين حسني شغبي بك

هل اسر المصريين قانونى

لم نكن في حرب مع الانكليز ولم تخرج بلادنا على ارادتهم لا ولا توانت في مساعدتهم فسخروا دوابنا في حملاتهم وصادروا ارزاقنا لتموين جيوشهم وذهبت ملايين العمال لخدمة مقاصدهم فوفرت عليهم عددا مثلها تفوقوا به على أعدائهم وكان المصري ينوب كدا كلما رآهم وأسفاه حيارى من هول مصاب الحرب عليهم فكم مد للصليب الاحمر يد المساعدة بكرم وسخاء ليبرهن على مبلغ عطفه على المرضى والضعفاء والمصري لا يعرف في الانسانية عداء

ان الامة الانكليزية في مقدمة الامم التي تقدس الحرية وتناضل من أجلها لآخر قرش في خزائنها وآخر رجل عندها قال « لوك » الفيلسوف الانكليزي « ان الحكومة الانكليزية قامت بعد ثورة (١٦٨٨) على عهود بينها وبين الوطنيين الذين تتألف منهم الامة وان في طبيعة الانسان قبل أن ينخرط في المجتمع أدب كاف لتسديد سلوكه ولتمتعه بحقوق حريته الشخصية وهذه الحقوق مقدسة لانها مبنية على الدين الطبيعي ولرغبة الناس في صيانة هذه الحقوق أوجدوا الحكومة. فحكومة كل بلد تتكفل بحفظ الحقوق الطبيعية فيه »

يتضح من ذلك أن الثورة الانكليزية وليدة رغبة الامة الانكليزية في ان لا تتجاوز الحكومة حدها المعين ولا تمس الحرية الشخصية.

. فلما قامت الحرب العامة خشي الانكليز ان يدي بعض ضعاف الوطنية فيهم هذه الحرية فيصيب البلد في مقتلها و يقضي عليها طول عمرها فسنوا لذلك قوانين خاصة سموها قوانين الدفاع عن المملكة اباحوا فيها للحكومة ان تتخذ أي اجراء تراه ضروريا لصيانة البلاد وسلامتها ولو لم يتفق مع ذلك او خرج على قانونهم

وكنا في اثناء الحرب نقرأ نفثات اقلام الادباء الانكليز على صفحات التيمس يتوجعون لمصاب البلجيكيين الذين كان الالمان يخرجونهم من ديارهم ويبعدونهم عن أهليهم ويفرقون بينهم وبين اعمالهم وفنونهم فتكاد تنخلع قلوبنا من الاثر المؤثر الذي تتركه هذه الاقلام الحرة فينا وما نظن للانكليز يد في القبض علينا لان ذلك حصل قبل ان تعلن انكلترا حمايتها على بلدنا في اوائل شهر نوفمبر سنة ١٩١٤ ومن غير ان يكون هناك سبب لذلك فبأي قانون اعتقلنا وحبسنا ونفينا من بلادنا هل كانت حكومة مصر محاربة ؟ او هل انذرت أهلها لخروج هذا النفر على انذارها فأستحق كيدها وعذابها

ان القانون المصرى لم يبح للبوليس أن يحجز المتهم اكثر من اربع وعشرين ساعة تعدها النيابة العمومية لثلاثة ايام وتطيلها لاربعة عشر ولها حق طلب تجديدها بشرط ان يحكم القاضى بها ويدافع المتهم عن نفسه في كل مرة.

ونحن الاسري المصريين الذين اسروا قبل اعلان الحمايه وتغيير

نظام البلد لا نأخذ الا بتلابيب حكومتنا ونقاضيها من اجل تعذيبنا لأن الضباط المصريين هم الذين قبضوا علينا وهم الذين حبسونا وهم الذين اسلمونا للسلطة الانكليزية فنفتنا ولو وقفت معنا موقف البطولة لمنعت يد الاجنبي من الامتداد بالسوء الينا .

اليس عجيبا ان تتعمد الحكومة لرغبتها في التخلص من نفر من رعاياها — الخروج علي قوانينها التي قننتها وسننها التى سنتها وتنفي ابناء بلدها من غير قانون ولو استثنائي

اليس عجيبا ان تعمد لهذه الوسيلة حكومة لاتخطو خطوة واحدة في بلدها الا وتعثر بدار محكمة او نيابة او بوليس او ادارة فمن دواوين العمد الي محاكم الاخطاط فالمحاكم الجزئية فالكلية فدوائر الجنايات ثم اكملت المجالس العسكرية عدة المحاكمات علي كل شكل وصنف ولون

اليس عجيبا ان تقوم قيامتها فتقف في وجه الاتجار بالرقيق وتقبض علي النخاسين وتطارد اللصوص الذين يخطفون الاولاد ولا يردونهم الا بالحلاوة فتزج بهم في أعماق السجون ويقف النائب في ساحة المحكمة يعرض بالجناة ويطلب من القضاء العادل أن يقتص من هؤلاء الفظظة غلاظ الاكباد لانهم حرموا الام من طفلها والاب من فلذة كبده وتركوا في البيت مناحة لانهم سرقوا الطفل فأطفأوا القنديل؟

من لنا اذاً بمن يقوم ليدافع عن ضحايا الاسر المصريين الذين سلبوا سلباً ونهبوا نهباً وأهلك حرثهم ونسلهم وخربت متاجرهم وبيوتهم وقضوا

في جحيم الدنيا خمس سنين مبعدين عن الاوطان نائين عن الاهل والخلان معرضين لكل بلية واكبر هوان

من لنا بمن يأتي بهؤلاء الذين اعتقلونا ويعاملهم بعملهم ولا يجازيهم بأكثر مما قدمته للغير أيديهم

من لنا بمن يأتي بهم جميعاً فيميطون اللثام عن مقاصدهم التي ذهبت بالابرياء للمنفى ويفهمهم بأن الغاية من الحكومة صيانة حـــرية الرعايا الشخصية وان لا يسجن أحد بغير محاكمة قانونية .

ان الضمانة الوحيدة لاهل هـذا البلد الامين والاجيال المقبلة تتمثل في حقيقة واحدة هي ضرورة العمل بكل الوسائط السلمية الممكنة على إيجاد حكومة دستورية تحرص على منفعة الناس جميعاو حريتهم وتتنزه عن رذائل التحكم في الخلق بالباطل واضطهاد الابرياء بغير سبب والا قل لي بحقك أي ضمانة لك اذا كانت الحكومة تستطيع ان تضع يدها عليك في أي وقت شاءت والى أي مدة تشاء فتشتت اسرتك وتقتل ثروتك وتجهز عليك وعلى اهلك ثم هي أن تمن عليك بعفوها بعد ذلك تخرج الى العالم شريداً وتقضي أجلك الباقي معدما وطريدا

لانزال نذكر تلك الضجة الهائلة التي اقامتها الامة المصرية في في وجه قانون النفي الاداري مع انه كان يهدد طبقة واحدة ملعونة في الارض والسماء هي طبقة قطاع الطرق والاشقياء مع انه هذا القانون كان يحيطهم بسياجات مختلفة من ضمانات متفاوتة فكانوا يسمحون

اخينا الدكتور عبد الغفار متولي

من كبار الشباب المشتغل بالمسئلة المصرية

« لشيخ المنصر » بأن يدافع عن نفسه في محكمة علنية مكونة من اكفاء القضاة والمستشارين فبعد ان تسمع اقواله وشهود النفي له والاثبات عليه تخيره بواحد من ثلاث أما أن يأتي بضمان شخصي (٢) أو يقدم ضمانة مالية أو (٣) يبقى لمدة تتراوح بين الثلاث والخمس سنين في واحة بلده

هذا قانون سنته الحكومة لتأمين رعاياها من عدوان الطغم الفاسدة والفئات الشريرة الباغية التي تعدو على الاعراض والاموال والأنفس والتي أباح الدين والقانون والعدل استئصالها ومع ذلك فان البلد ضجت منه خشية أن يذهب بريء للنفي ظلماً فاضطرت الحكومة أن ترضخ لصوت الشعب والحقيقة وألغت القانون والعمل به .

أما الاعتقال أو السجن أو النفي السياسي فكان كسيف (ديمقليس) يهدد الناس جميعاً فلم يك لطبقة مخصوصة أو لاسباب معينة بل وتخذه بعض من لا خلاق له وسيلة لابتزاز الاموال او تهديد الارواح ومن ذا الذي يرى الناس تساق جزافا من غير ان يحقق معهم أو ينظر في شكواهم ولا يعطي مايستطيع لمن يسأله الفداء ؟ كثيرون دفعوا ونجوا والذين كانوا — مثلنا — يشكون ولا يكترثون بل يحسنون الظن في القانون وبعد ذلك لا يأبهون وأشد ما كانوا يلاقون ! خمس سنين في مغاور الأسر .

والانكي من ذلك انهم لم يتخيروا من يعتقلون جمعوا من كل زمرة وطائفة وكان بين المعتقلين جماعة تبكي مر البكاء كلما سمعت بأن في النية اطلاق سراحها وتتظلم من الافراج عنها وتقسم الايمان المغلظة على انها لم تعمل في اعتقالها من السوء ما يستدعي فكاكها

وكانت موجبات الاعتقال كثيرة لاحدلها لانها لم تكن لهاقاعدة ومن التخبط في القبض على الناس تولدت أسباب تافهة كانوا يتخذونها مثلا او حجة

حدث بعضهم قال قبض علي لانهم عثروا في منزلى علي خطاب قال لي قريب فيه « اني لمرسل لك في هذا حوالة بمبلغ عشرين جنيها احتلاليا » بدل أن يقول انكليزيا قال « ولو علمت ان هذه الكلمة تسبب لى هذه النكبة لاصلحتها بيدى قبل أن أحفظ الخطاب بين ورقي »

واعتقل بعضهم بعد صدور حكم المحكمة العسكرية ببراءة ساحتهم وأخذ آخرون للنفي بسبب انتسابهم لسمو الجناب العالى الخديوى سواء أكانوا من موظفي معيته أو مخلصى رعيته مع أن الخروج عن طاعته كان جزاؤه الاعدام أو الاشغال الشاقة المؤبدة فكيف اذاً يعاقب على الاخلاص له بالاسر والنفي ؟

سيقولون بأن الاعتقال حصل بأمر السلطة العسكرية بعد اعلان الاحكام العرفية ونقول هذه حجة باطلة فانكم اذا صح أنكم كنتم تعملون « برخصة » أو « اجازة » من القائد العام فقد ترك لكم حرية العمل التام

في المحافظة علي الامن والنظام فأنتم أيها السادة لو لم تريدوا ذلك لابناء وطنكم لاستقلتم لفوركم كما حدث ذلك يوم اعتقال معالي رئيس الوفد واخوانه فكان فكاك المعتقلين يصبح أقل ما يمكن استرضاؤكم به .

وأرسلنا الي المنفي فلم يفكر ولاة الامر الذين أمروا بابعادنا في أمرنا وكنا بين جمهور الاسرى الالمان والنمساويين والاتراك والبلغار كالمساكين واليتامى لاحكومة تسأل عنا ولا أحد يرعانا وبينا كانت هدايا دول الوسط تساقط علي أبنائهم المأسورين وحكوماتها لاتألو جهدا في التنبيه باحترامهم وتهيئة سبل الراحة الوافرة لهم كانت حكومة مصر تصم اذنيها عن سماع شكاياتنا وتغمض جفنها عن رؤية مصابنا وما ننسى ولا ننسى زوجة معتقل نابه القدر تسترحم اولي الامر — وما كانت لولا مصاب عائلها لترى الشمس خيالها — في أمر زوجها فيتفرس فيها ويتطلع لها ثم يفتح الله عليه بفضيحة قوله «انت جميلة فلماذا لا تطلبي طلاقك منه وأنا اساعدك في ذلك » وملا الغيظ نفس هذا الملاك الطاهر فأجابته بحدة « انني اسول ولا افكر في الطلاق من زوجي وهو علي هـذا الحال . » ألا فليكثر الله لهذا البلد من أمثال هذه العواطف الكريمة ويهبنا رجالا نافعين خطيرين فيذهب بهؤلاء ويأتي بقوم آخرين

المسالة المصرية

في ثلاث كلمات

كان جديرا ان نعطف بكلمة عن تاريخ مشكلة بلادنا وتطوراتها الى اليوم حتى نلم في هذا الكتاب بكل ما فيه فائدة لموضوعه .

الكلمة الاولى

ظلت مسألة مصر شغل اوروبا الشاغل لعظم شأن موقعها بالنسبة لها الى ان قر قرارها على ضمان استقلالها بمقتضى معاهدة لوندرا سنة (١٨٤٠) وثبت جلالة سلطان تركيا ذلك بفرمانين صدرا في ١٣ فبراير واول يونيو سنة (١٨٤١)

وبقيت مصر تدير شؤونها بنفسها وتعمل في سبيل الرقي والمدنية الى ان حدثت في اوائل سنة (١٨٨٢) بعض قلاقل سياسية وكان احمد عرابي زعيمها فاقترح رئيس وزراء فرنسا على وزارة انكلترا ان يقوما بمظاهرة بحرية في المياه المصرية وفعلا وصل الاسطولان في ٢٠ مايو سنة ١٨٨٢ امام الاسكندرية ثم عاد وزير فرنسا الاول فاقترح عقد مؤتمر دولى للنظر في مشكلة مصر فاجتمع اعضاؤه ووقعوا على البروتوكول المشهور الذى جاء في بعض نصوصه ما يأتي :

« تتعهد الحكومات التى وقع مندوبوها على هذا القرار بأنها لا تبحث في كل اتفاق يقع بشأن تسوية المسئلة المصرية عن احتلال

عطا حسني بك

الأمير الجليل عباس حليم
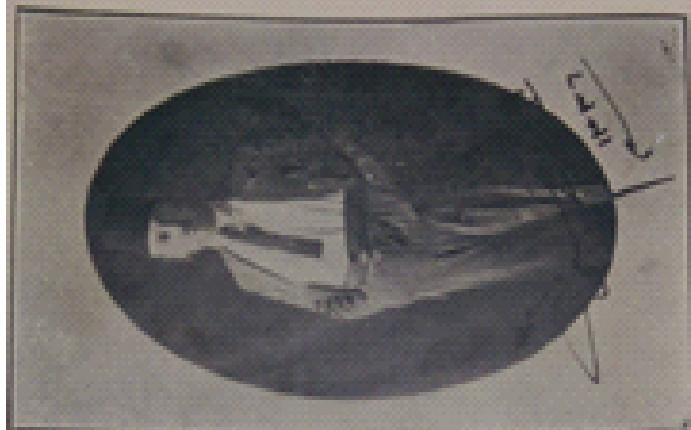
شيء من اراضي مصر ولا علي الحصول علي امتياز خاص بها ولا على نيل ميزة تجارية لرعاياها يكون غير ممكن لرعايا الدول الاخري أن تناله »

وبالرغم من هـذا العهـد الذي قطعته انـكلترا على نفسها فان الاسطول الانـكليزى انفرد بضرب الاسكندرية ورفضت فرنسا أن تخرج علي عهدها فلم تنضم لها واعتبرت ان لا مسوغ لذلك خصوصا بعد ان قرر مؤتمر الاستانة عدم الانفراد بالعمل ·

ضرب الاسطول الانـكليزى الاسكندرية في صبيحة ١١ يوليو بحجة ان المصريين كانوا يضعون مدافع في الحصون تهدد الاسطول . ثم انزل الانـكليز عساكرهم واستمروا في زحفهم الى ان دخلوا القاهرة من غير ان يلاقوا مقاومة جدية في طريقهم بعد ان قال السير شارل ديلك وكيل وزارة الخارجية البريطانية « ان الجنود الانـكليزية التي نزلت الى البر تـكون مهمتها الوحيدة الاحتفاظ بالامن في الاسكندرية »

وصرح المستر جلاد ستون رئيس الوزراء في مجلس العموم بجلسة ١٢ اغسطس سـنة ١٨٨٢ بقوله « ليس في نيتنا مطلقا ان نحتل مصر واذا كان هنالك شيء لا نقدم عليـه فهو ذلك الاحتلال لانه يناقض المبادىء التي اعلنتها حكومة جلالة الملـكة والوعود التي وعدتها لاوروبا ويناقض السياسة الانـكليزية ايضا »

وارسل اللورد جرانفيل وزير الخارجيـة للسفراء منشورا في

٢٠ اغسطس سنة ١٨٨٢ جاء فيه « يجب على سفراء المملكة في الخارج ان يؤكدوا لجميع الحكومات عدم وجود مطامع شخصية لانكلترا وان الحكومة الانكليزية مصممة على ان لا تسوى مسألة مصر وقناة السويس بدون اشتراك الدول »

وصرح الوزير عينه للجنرال مينابري في سبتمبر سنة ١٨٨٢ بأن « انكلترا لا ترمي الى بسط حمايتها على مصر او ارغام احد على الخضوع لارادتها »

وقال المستر جلادستون في مجلس العموم يوم ٩ اغسطس سنة ١٨٨٣ « ان الحكومة الانكليزية لم تفكر في ضم مصر لان هذا العمل يمس شرف انكلترا »

وقال وكيل وزارة الخارجية في اليوم نفسه بالمجلس « ان حكومة جلالة الملكة معارضة في ضم مصر وفي كل ما يشبه هذا الضم احتفاظا بعهودها وصيانة لمصالح انكلترا »

وصرح اللورد سالسبوري رئيس الوزارة المستر وادنجتون في ٢ نوفمبر سنة ١٨٨٦ بقوله « اذا ظننتم اننا نريد البقاء في مصر تكونون مخدوعين لاننا لا نبحث الا على الخروج منها بشرف ونحن مصممون على الجلاء »

وخطب في مجلس اللوردات في ١٠ يونيو سنة ١٨٨٧ بناء « لا تستطيع الحكومة الانكليزية وضع مصر تحت حمايتها وذلك فقال

على تعهد اتها السابقة واحتراما لقواعد القانون الدولى وان مهمتها يجب ان تقف عند الاتفاق مع الباب المالى على الدفاع عن الخديوي ضد الفتن السياسية ولا تتعدي الاحتفاظ بالحالة الحاضرة ولقد عقدت اتفاقية مع تركيا تقضي بان الاحتلال ينتهى بعد ثلاث سنين »

وصرح السير هنري درومند ولف الى الصدر الاعظم في سنة ١٨٨٧ بقوله « كذبت الحكومة الانكليزية كل نية في ضم مصر او بسط الحماية عليها ولقد نسبوا لانكلترا فكرة انها تريد احتلال مصر احتلالا ابديا ولكن هذا يعد خرقا لتقاليد انكلترا السياسية ونقضاً لتعهداتها نحو السلطان وانتها كا لحرمة القانون الدولى »

وقال السير هنري كامبل بانرمان في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٩٤ « ليس احتلال مصر الا وقتياً ونحن لا يمكننا البقاء الى الابد في مصر الا اذا نقضنا تعهد اتنا الرسمية وجعلنا انفسنا محتقرين في نظر اوروبا »

وقال اللورد سالسبوري في ١٢ اكتوبر سنة ١٨٩٨ « كان وادي النيل ولا يزال دائما ملكا لمصر »

وبلغ عدد الوعود والعهود التي قطعتها حكومات انكلترا نيف واربعين وعدا وعهدا وبالرغم من ثقل حملها ونوء الجبال عن احتمال النزوح تحت اعباء واحد منها فان انكلترا لم تبر بواحد منها بل انتهزت كل فرصة للخروج عليها

فعقدت في ٨ ابريل سنة ١٩٠٤ الاتفاقيه المشهورة التي تعهدت

فرنسا لها فيها بأنها لا تعرقل عمل انكلترا في مصر لا بطلب تحديد أجل الاحتلال فيها ولا بأى أمر آخر .

قال الاستاذ دسبانيه « ان فرنسا باتفاقها مع انجلترا في ٨ ابريل سنة ١٩٠٤ لم توافق ولم تصدق على المركز الواقعي الذي أوجدته انجلترا لنفسها في مصر لان هذه الموافقة وذلك التصديق لا يمكن ان يكونا الا باتفاق جديد بين جميع الدول التى اشتركت في حوادث ١٨٤٠ — ١٨٤١

ان فرنسا وافقت فقط على شيء واحد وهو ان لا تضع العراقيل في سبيل ادارة مصر بواسطة انجلترا تلك الادارة التي ليست لها الا صبغة وقتية والتى لم تتحول الى مركز شرعي صحيح مقبول »

وقال أيضاً في موضع آخر

« ان قرارات سنة ١٨٤٠ لاتزال مستمرة الوجود دائما كما ان الاحتلال الانكليزى لا يمكن ان تكون له غير الصبغة الوقتية بالرغم من جميع المحاولات التى تستعمل لجعله نهائياً »

وقال العالم (دي مارتنس) « ان مركز مصر وجد باتفاق اوروبا اتفاقا شرعيا وهذا الاتفاق نفسه ضروري لتغيير هذا المركز ».

وقال الاستاذ كوشري في كتابه المركز الدولى لمصر والسودان « ان التداخل في شؤون الامم الاخري ليس قانونيا لان القوانين تقتضي بأن تكون الامم مستقلة بعضها عن بعض فبأى حق تدخلت

ثكنة بلغارستا

التي خصصت لسكنى كبار المعتقلين وأقام بها الباشوات المصريون

الميرالاي خليل بك حمدي والبكباشي المرحوم محمد أمين بك حلمي والكاتب

انكلترا في شؤون مصر مع انها كانت دائماً ضد مبدأ التداخل ولا سيما عند تداخل النمسا في ايطاليا سنة ١٨٢١ وفرنسا في اسبانيا سنة ١٨٢٣ فعلام اذا غيرت مبدأها . وقصاري القول انه بالرغم من اطلاق المدافع علي الاسكندرية ومن اتيل الكبير ومن أم درمان ومن فاشوده فان المسئلة المصرية لا تزال مفتوحة وما مثل انكلترا الا كناقش في الرمل »

الكلمة الثانية

أعلنت بريطانيا العظمى حمايتها علي مصر في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ بدعوى أن حالة الحرب تضطرها لذلك وأقامت في البلاد حاكما عليها انتخبته وأكدت حينذاك أن عملها هذا ليس الا الخطوة الاولى في في سبيل استقلال مصر ؟؟

الكلمة الاخيرة

وكسبت انكلترا وحلفاؤها الحرب ببركة اعلاناتهم ووعودهم وعهودهم ومغلظ الايمان التي حلفوها والدموع تساقط من عيونهم بأنهم ما حاربوا للفتح وللضم وانما قاموا للدفاع عن انفسهم وعن حرية واستقلال الشعوب الصغيرة وحرام عليهم العيش والحياة اذا كانت لهم نيات غير ذلك . فلبي دعوة المساعدة كل امة دخلت عليها أقوالهم وصدقت ببياناتهم وبهذا العالم العظيم الذي انضم اليهم أمكنهم أن يتغلبوا في الساعة الاخيرة علي أعند خصومهم وألد اعدائهم فلما وفقوا

لبغيتهم وانتصروا على مناظريهم هموا بأكل لحوم الدول الصغيرة التى ادعوا قبلا بأنهم يحاربون من أجلها ولعلهم يفسرون ذلك بما يبرر حق اغتيالهم للغير فيحلونه عاما ويحرمونه عاما وقد جاء في شروط الصلح التى أرغموا المانيا عليها بنود خاصة بمصر أهمها المادة (١٤٧): تصرح المانيا بأنها تعترف بالحماية التي اعلنتها بريطانيا على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وتتنازل عن نظام الامتيازات الاجنبية اعتبارا من أغسطس سنة ١٩١٤

المادة (١٥١) توافق المانيا على الغاء الدكريتو الذى أصدره سمو الخديوي في ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٤ خاصا بقومسيون الدين المصري العام أو ادخال التعديلات التى تمدها الحكومة المصرية مناسبة .

المادة (١٥٢) توافق المانيا فيما يختص بها على نقل السلطات المخولة لجلالة سلطان تركيا بموجب اتفاقية الاستانة في ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٨٨ عن حرية المرور بقناة السويس الى حكومة جلالة ملك انكلترا .

***

فهل بلغت انكلترا بهذه المعاهدة التى اجبرت اعداءها عليها مرامها من بلادنا ؟ كلا وألف مرة كلا لان البلاد كما قال ولسن لا تنتقل من يد ليد انتقال الكرة من قدم لقدم وانه لمن المحال ان تجبر امة كالامة المصرية على ان تتنازل عن حقوقها لان هناك قوة

أجنبية تبغي ارغامها . اننا لا نريد بالانكليز سوءاً أبدا وأنما نريد استقلالنا والاعتراف بكامل حقوقنا استقلالا صحيحا « لا خداع فيه » بمظهريه في الداخل والخارج حتى ننهض نهضة جديرة بهمتنا ونستعيد مجد آبائنا .

لكم أن تفرضوا على أعدائكم ماتشاءون ولكننا قوم لم نبدأكم بعدوان ولا فكرنا في محاجتكم ألا باسم الشرف والوجدان ومقارعة الحجة والبرهان .

انتم اقوياء ونحن ضعاف فعندكم اساطيل تملأ البحار وجيوش تسد البراري والقفار ونحن لا يرهبنا هذا كله مطلقا ولا نأبه له أبدا لأننا نعرف ونوقن ونجزم بأنكم ولو أردتم لا تستطيعون أن تتملكوا بلادنا بمحض اختيارنا لخروجكم منها وتركم لها يضرب بمد التكم مثلا لا يذكر التاريخ أجل منه ولا أبهى . وبقاؤكم فيها واعلان حمايتكم عليها أو ضمكم لها انتم أدري الناس بتأويله ؟ !!

ونحن لا نملك التنازل عن هذه البلاد التي هي ملك ابناؤنا والاجيال المقبلة فأذا لم تشاءوا أن تنزلوا على حقوقنا الكاملة فما علينا أذا اردنا أن لا نعرض انفسنا لحكم التاريخ الثقيل علينا وسخط ابنائنا واحفادنا ألا أن نحتمل ضيم وجودكم بيننا حتى تتهيأ الفرص لخروجكم يوما ما من بلادنا وهنا لك تتحدث تلك الاجيال المقبلة بشرف موقفنا وعزة نفوسنا وعدم تفريطنا في حقوقهم وقبولنا كل مضايقة وتعب من وجودكم

وتفضيل ذلك على تسخيرهم وبيع بلادنا وبلادهم مقابل راحة موهومة وفي حالة العالم عامة واوروبا خاصة وفي التطور الفكرى الذى قام عقب هذه الحرب الكبرى وتقدم الافكار الاشتراكية مافيه ضمان بقرب حصول مصر على حقها في الوجود كسائر الامم الحرة

يجب ان لا يتسرب لقلوبنا اليأس ولا الخوف ولا الالم وان الزمن وحده كفيل بهذه المهمة ان يعمل بوصولنا لاغراضنا وحصولنا على كل مطالبنا

ان الوطن لا يباع ولا يقبل مساومة لانه ليس حق الذين يقطنونه الآن فقط وانما هو ملك أجيال مقبلة وتراث أجداد سالفة فأين نذهب بوجوهنا اذا لا قدر الله فرطنا في حقه يوم ان نلاقي اولئك الاجداد ونجتمع في القبور بهم ؟ وبم نتق لعنات الابناء والاحفاد ؟

وليعملوا ما شاءوا وليقيموا من الانظمة للبلد ما ارادوا فان بلادنا تستفيد من اعمالهم حججا تدلي بها امام محاكم العدلة في كل وقت وفرصة وان في اعتدائهم على بلادنا وخروجهم على وعودهم وعهودهم لنا لتعجيز كبير لهم في مواقف الشرف والانصاف والعدل

لقد استطاع الروس أن يغيروا في بولونيا كل شيء فطمسوا آثارها وأعدموا لغتها وملأوا السجون بأحرارها والمنفى بكبار رجالها وما استطاعوا أن يقضوا عليها ورأينا الروس وحلفاء الروس يقررون وجودها ويلمون شعث اجزائها افلا نتخذ من ذلك مثلا يوقن به المتعجلون

بعض كبار الأتراك الأنقرويين وبينهم محرر طنين حسين بك جاهد

مصريون يحتفلون في الثامن من شهر يناير

ويؤمنون بحق مصر والسودان وملحقاتهما في الحرية .

ومن كان يظن ان تنضم (بسارابيا) لرومانيا وتستقل تشكوسلوفاكيا؟

ومن كان يظن ان الزاس لورين تعود لفرنسا وان تضم الدانمارك (شلسويج) لها ؟

بل من كان يحلم أن تعود بلاد القوقاس التي فصلت عن تركيا ظلما لها مع انها خرجت من الحرب غير ظافرة ؟

ان الدماء التي سفكت من اجل حرية مصر والارواح التى انتزعت في سبيل استقلال مصر والعذاب الذى لحق الامة في اهانة ارزاقها ومحصولاتها والاعتداء على ابنائها يجب ان لا تذهب هدرا وما اظن على اديم مصر مخلوقا يستطيع أن يحمل ابناء وطنه على الختم على ذلة بلاده ونكبة أهله وتحمل مسؤولية لا تقوى امة على احتمالها

أن ثري مصر أشرف من أن يحمل فوقه مثل هذا المخلوق وترابها أطهر من أن يظهره . وان على الامة المصريه الكريمة أن تتماسك فيما بينها وان لاتغتر بوعود أعدائها وان تعتقد بأن انكلترا ليست الآن في مركز يجبرها على تنفيذ وعودها لأنها في الكفة الراجحة والمركز الاعلى ولن يجعلها تنزل الى احترام كلمتها ألا هزة عنيفه من الهزات المفاجئة والزلازل المباغته وقديما اغترت الرومان بعزتها واعتزت بعز لتهافأتاها أمر الله عالم يكن في حسبانها انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا . وكان ذلك على ربك حتما مقضيا .

(الحظ والحياة)

هذا العالم كالبحر والأيام أمواجه ومثل الانسان فيه كجاريه تخض عبابه والحظ دفتها فلا يغرنك طيب الهواء وصفاء الماء ولا يزعجنك في ارغاده وأزباده وغضبه وهياج أمواجه فقد تنجو من أكبر الاخطار وتهلك حيث لا تفكر في أن يصيبك اقل أذي وأضرار

كم تري معمرا يسقط من شاهق فلا يلحقه أذي وشابا يعثر بقدميه فيمتوره الردي بل وكثيرين من الذين يحسبون للايام حسابها مصابين بارزائها وغوافل منعمين بسعدها وهناك آخرون ينكبوا علي العقاقير والوصفات اتقاء للامراض والحمايات لا يأتي وباء حتي يذهبوا أول ضحايا وفادته وغيرهم يجدون في أثر الموت فلا يظفرون به وقد تقوم نار في دار فلا تلتهم غير الطفيف من حمائرها ثم تتعداها الي جوارها فتذهب بالطارف والتليد فيها

قامت الحرب الاوروبيه بحركة أطماع دول اوربا الجشعة وآمالها المتجعه فما دخل المصريين فيها وهم أعما يذلون في عظمة اوربا ويعتزون في ذلتها ؟

ولكنها الايام قد صرن كلها عجائب حتي ليس فيها عجائب وماهذا الاسر الذي ما كان يخطر ببال مصر المسالمة ولا المصري الذي لم يعلن علي أحد حربا ؟ هذا دور الحظ لعبه معكوسا وكشر عن انيابه بلاء وعبوسا وهكذا حياة الانسان مرتبطة به ارتباطا وثيقا وأنت في الساعة

التي تظن أنك ملكت ناصيته وعنانه يأتيك بشيء مفاجيء لاتستطيع تفسيره ولاتكييفه فلا يحلو له أن يهوي بك ألا في أوثق اوقاتك به ثم تحذر فلاينجيك الحذر وتستهين بالامور فيصيبك اكبر ضرر وكل حظ قضاء وقدر . هلم بي نستبين الامور بوقائعها لايستغوينا الخيال فيها ولا يبهرنا تزاويقها تجد الحظ أهم عامل في حياتنا أفلا يحدث أنك تعد للامور عدتها وتحسب لها دقائقها ثم تخفقها وغيرك لا يعمل حسابا ولا يقرأ للعواقب كتابا تأتيه هينةفيرشف رضابها ؟ كذلك فام بونابرت في القرن التاسع عشر فبالحظ المساعد عظم واشتهر وبالحظ لا غير طاش سهمه واندحر وكان انكساره في أحسن مواقع رتبها وأحكم قتالات دبرها ولكنه لما تلاعب حظه وتدلى فشل وتولي .

وهناك المثل القريب الاعلى في نكبة الدولة العظمى «المانيه» فلقد كسبت جل مواقع الحرب وبرزت في كل نزال وضرب وتفوقت على العالم طرا بعسكريتها المتقنة وعلومها العاليه ودقة قوادها النادره وعزيمة أهلها الفاخره فهل فازت الفوز الجدير بهمتها وعملها وشجاعتها وأقدامها . كلا . لان الحظ السعيد أفلت افلات المومس منها .

فالحظ صمصام القوة بل ساعد الحياه لا يلازمك ألا وتتوفق في حركاتك وترشد في سكناتك بل وتفلح فلحا وثيقا وتجد أني ذهبت سعادة وتوفيقا وهو هبة عليا واكرام من الله للعبد في الدنيا

واذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن امان

ولئن لم تقنعك هذه الامثال التي ضربناها والوقائع الحقة التي لعب الحظ وحده أهم ادوارها أفلا ترى واحد يبدأ اكتشافا أو مخترعا فلا يصل لبغيته ويخيب فألا ويأتي آخر فيعمل فيه التافه زيادة أو نقصا فتطير بذكره الركبان ويشار له في التاريخ بالبنان ويبقى حديث الهمة اذا ذكرت والعبقرية الشائقة ما تقدمت الايام وبقيت فيكسب بذلك حتما كان الاول به أحق واشهر وله أولى واجدر .

ولله كتاب بسمارك الذي كتبه يوم بلغ مسمعه خبر عزله من سفارة بطرسبورغ في يوليو سنة ١٨٩٥ قال « كل من على البسيطة زائل يعيش زمانا ثم ينمحي وكل شيء في العالم حظ بيد الخالق يدبره كيف يشاء فالحكمة البالغة وكمال العقول ونقصها والحرب واهوالها والسلم وما فيه من خير عميم ورفاهة ونعيم أن هي الا امواج تعلو وجه الوجود والامم والناس كسفن تتحرك بارادة خفية لغاية خفية »

* * *

هذا هو الحظ الذي حشرنا في زمرة المصابين بلفحة الحرب المزعجة الماضية مع عظم ابتعادنا عن اسبابها واصحابها ومقدماتها ونتائجها واغراضها وغاياتها لم يكن لنا فيه شاة ولا بعيرا وصلينا فيها حميا وسعيرا ولكننا نحمد الله بكرة واصيلا حمداً كثيرا على ان كان ذلك في سبيل عظمة بلادنا ومحبة اوطاننا وهل مايفضل بعد ذلك الجزاء الاوفى في خير كتاب « انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب »

في مخبز الاسرى ، الاسرى المنوطة بالخبز تفرقه

الموسيقى التي اوجدها البحارة الالمان قبل التصريح لهم بالآلات

والحمد لله الذي لم يكتب الأسارة علينا لجرم ارتكبناه أو وزر جنيناه أو اعتداء على عرض أو شرف أو انسان وانما وقع اختيار الاسر علينا فعرض نفوسنا للألسنة الطويلة وبيوتنا للحقارة الشديدة لسوء ظنه بضعفنا وخوفه من حرارة ايماننا بحق بلدنا وما درى انه بذلك رفع من قدرنا في اعين مواطنينا واعلى من شأن بلادنا بما وفق اليه من اختياره جماعة رحبت بمصابها من اعماق قلوبها وقابلت تضحيتها بصبر جدير بها وبرهنت على ان المصرى يقابل عذاب نفسه وهوان بيته ومصاب بنيه وعشيرته في سبيل عظمة بلاده ثابتا لاخائرا ولا متألما وقد خاب من حمل ظلما

للتاريخ

يقولون أن اسرنا كان بسبب عطفنا على تركيا وشعورنا نحو جلالة خليفتنا واخلاصنا لعرش بلادنا ونحن مع مزيد الافتخار بموقفنا نحاول هنا ان نخلص ذمتنا امام مواطنينا وضميرنا ونكشف عما استتر ونصارح قومنا الحق الصراح فأن ذوي الاغراض أسدلوا شعارا كثيفا على الحقيقة فحجبوها ومسخوا الوقائع وشوهوها لحاجة في نفوسهم قضوها وانه لدين في عنقي اشهد الله على اني أفيه الان كاملا وأقدمه على رؤوس الاشهاد تاما . ولا احاول به الا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه . واني لمتجرد فيها عن كل هوي والي القراء حديثه كما شاهدته بعيناي وجري.

كيف دخلت تركيا الحرب

كان حزب الاتحاد والترقي يتربع في دست الاحكام في تركيا يوم قامت الحرب العامة وكان زعماء اعضائه في هيئة الوكلاء منقسمين في ارائهم السياسية الي جماعتين فواحدة تميل لفرنسا وزعيمها جاويد بك وزميله جمال باشا وكان الاول قد نجح للحصول على قرض لتركيا من فرنسا قدره ثلاثة ملايين جنيه وكان جمال باشا قد عاد من فرنسا بعد ان شاهد مندوبا عن تركيا حفلة مناورات الاسطول الفرنسي واكرم الفرنسيون مثواه اكراما بالغا وبالغت صحفهم في كيل الثناء لتركيا جزافا

وكانت الفئة العثمانية وزعيمها أنور باشا وزميله طلعت بك (باشا) يميل لالمانيا ورائد هذه الفئة الاخيرة حب البلاد وتقديمه على كل عاطفة شخصية أخرى وخصوصاً بعد ان اتضحت لهم نيات الحلفاء

فلقد طلبوا الي تركيا أن تلتزم الحياد ويضمنون وجودها ثلاثين عاماً؟؟ ولو قدر لتركيا أن توافق علي هذا الرأي وتقبله لكانت أجل الحرب اقصر مما كانت ولبقيت روسيا قيصرية غير بلشفية فكانت نزهة واحدة لجيشها الجنوبي كافية لان تسحق تركيا سحقاً وتمحي وجودها من العالم أصلا - ولم يستطع أنور أن يهضم نظرية خصومه في الوزارة ويبقى واقفاً في انتظار نصرة عدوة بلاده التاريخية التي سببت بلاء تركيا من القدم فنتفت ريشها ومزقت بلادها ونزعت منها املاكها وارغمت طول الزمن انها فكان الروس يتوارثون معاداة الاتراك ولا يحيدون

قيدشعرةعن وصيةبطرس الاكبر في الكيد لهم ومصافاة ومحاباة أعدائهم.

فهذه العداوة التاريخية للروس هي التي أشعلت في فؤاد انور نار الحنق على الخلفاء أصدقائهم وقام من الحادثات ما أيد أنور وقلب الرأي العام في بلاده لصفه - ذلك أن الاتراك كانوا يبنون مركبين في بلاد الانكليز « رشادية » و « محمد الفاتح » جمعوا ثمنهما من الشعب بأسره فلم يبق واحد ولا واحدة شاب أو عجوز الا ودفع فيها بقدر طاقته . فلما دخلت الحرب بريطانيا أعلنت ضبطها وضمهما لقوة أسطولها الاعظم.

هذا قانون عند الانجليز وسواء كانت المركبان تبنيان لحساب تركيا أو غيرها فما كان لهم الا أن يستبقوهما

ولكن أنور عرف كيف يعبيء الصحف في بلده لتثير رأيها وتحميس أهلها وخلق الكراهة للحلفاء في نفوسها وتصويرهم بأبشع صورة وأجشع حالة لمافيدأت. « أقدام » وغيرها تهيج الحواس الناشئة وتستحث الهمم الراقدة وتحبر المقالات الجافة بسوء نية انجلترا وتاريخها مع تركيا فنبشت كل مساويها وفتشت جميع فضائحها وكنت وأنت في تركيا تظن نفسك في فينا او برلين وكانت الاتراك لا تستطيع ان تخفي عواطفها كلما وصلت اخبار انتصارات « المانيا »

ولقد قدر لنا ان نشهد مظاهرة احتجاج الاوانس التركية في القسطنطينية وما يذهب من البال أثرها ولا تخرج من القلب شرحتها وماننسى ولا ننسي حلاوة الدموع التي كانت تساقط من السرور بمظاهرتهن

وهن يمشين الهوينا في ما آزرهن الحمراء والصفراء والسوداء والبيضاء وفي •
أيديهن مظلاتهن يتقين بها الشمس والاعين ملونة بألوان ملابسهن
فجملتهن من أجمل ما رأى الناس كمالا وأبدع ما شاهدوا جلالا وجمالا
ووصلن بسلامة الله لدار السفارة الانجليزية وقامت اديبة من بينهن
والباقيات مطرقات خاشعات ساكنات ومتأثرات فنددت بعمل انجلترا
الذي كمد قلوب الاتراك جميعاً وأدخل في نفس الامة كراهة انجلترا ومقتها
فطمأن القائم باعمال السفارة بالها ووعد بمخابرة دولته في هذا
الشأن ثم بر بوعده وأرسلت له حكومته تطلب منه ان يعلن بأن عملها
مؤقت وانها سترد المركبين لاصحابهما بعد ان تحصل على الضمان المؤكد
عن موقف تركيا في الحرب بازائها »

وحدث بعد ذلك ان سفير المانيا البارون وانجنهايم انتهز الفرصة
للقضاء الابدي على السياسة الانكليزية في تركيا فابرق للمركبين
الالمانيتين جوبن وبرسلو ان تأتيا للمياه التركية وكانتا تأخذان خفيا من
ميناء مسينا وكانت مراكب انكلترا الحربية في انتظارهما في خليج
اوترانتو لتقطع عليهما طريق الوصول الى ميناء (بولا) النمساوية ووقفت
قطع اخرى من الاسطول الانكليزي في السويس وفي جبل طارق
لتسد عليهما سبيل الهرب ولم يخطر بالهم انهما يقصدان الاستانة أبدا
فخرجتا البارجتان وموسيقتاهما تصدحان يقصدان لناحية الاسطول
الانكليزي ثم دارتا بسرعة فائقة ناحية الجنوب وسارتا في طريق بحر

عبد الرحيم افندي صبحي

من أقوياء الشباب وآدبهم

أبحه ووجهتهما بوغاز الدردنيل فد خلتاه ترفعان الراية العثمانية وأعلن خبر شرائهما على ان يدفع الثمن بعد الحرب وسميت جوبن (سلطان سليم) وبرسلو (مدللي) فكان لذلك الحادث رنة سرور في الامة التركية واصبح شعورها مع الالمان اكيدا ورغبتها في انتصارها وطيدا

وبدخول المركبين المذكورتين مياه الاستانه أصبحت كفة الاسطول التركي بهما ترجح كفة الاسطول الروسي في البحر الاسود وأصبح نفوذ انور بهما أقوي من ان يستطيع القضاء عليه احد فنقلت السلطة باسرها ليده وأعلنت التعبئة العامة وابتديء في تحصين جناق قلعه والاستعداد لقفل البوغازين وتقوية دفاعهما بمباشرة ضباط المان ووصلت الاموال الالمانية سبائك من ذهب لتضرب في الاستانة العلية كانت تستطيع انكلترا أن تقتحم الدردنيل باسطولها قسرا وتجبر تركيا على التمسك بحيدتها حتى والدخول في صفها رغم انفها كما فعلت بعد ذلك مع اليونان فتوفر على نفسها مصائب طولة الحرب . ولو انها لم تكسب حروبها الماضية الا بهذه الطولة التي تستنفد فيها موارد اعدائها . ثم بعد ذلك تنقض عليهم فتصل الى كل ما ربا منهم الا أن هول هذه الحرب وضخامتها عكست طولة الوقت فقلبتها ضد مصلحتها فأن انكلترا كانت الكل في الكل فيها وكان كل اعتماد حلفائها عليها فهي التي قدمت المال لهم والمؤونة فاطعمتهم وردت المجاعة عنهم وحمت بأسطولها شواطئهم وأمنتهم به في بلادهم ولولاها لقضى عليهم في لمحة البصر واستلزم هذا العمل جهودا فوق الطوق احتملتها .

وتنوء دول تحت أعبائها . فهل فقد الانكليز صوابهم والهاهم واجبهم في الحرب عن امتداد بصرهم لمنع مصاب طولها بانضمام تركيا لصفوف اعدائهم .

لقد كنا معشر المصيفين في الاستانة لايداخلنا شك في ان ساعة دخول تركيا الحرب واشهارها على انكلترا آتية لاريب فيها فهل كانت عين سفير انكلترا في تركيا رمداء وبصيرته عمياء او كان من عامة الناس او جهلائها أو خلت السفارة من نقادة وعيون وانصار لا يكتمون عن انكلترا مايرون ؟؟ كلا فذلك لم يصدقه احد وخصوصا فقد اعتادت انكلترا ان تتخير لسفارة الاستانة المتبرز في السياسة عندها المعروف بالكياسة والفطنة بين سفرائها . وكذلك كانت سفارتها ملأى بالاذكية الذين لاتخفى عليهم خافية ولا تفلت منهم شاردة ولا واردة سيماوانها تبذل في هذا السبيل بسخاء وأين منه حاتم وجوده ؟

الا ان الغلطة العظيمة التي ارتكبتها بغفلتها عن أخذ الحيطة والحذر من تركيا كلفتها امتداد الحرب سنتين اخرتين وما يتبع ذلك من تضحية فذة ومصائب فادحة يكفي ان يكون من نتائجها خروجها بحالة لاتفضل بكثير حالة اعدائها المهزومين .ولو انتهت الحرب في سنة ١٩١٦ مثلا لأملت على اعدائها شروطها ولما اهتم العالم بشيء مما جري ولخروا امام انتصارها سجدا . ولكن طولة الحرب جعلتها تستجير بأمم أخري وتلتمس العون من ايطاليا وامريكا وغيرها وتمد هذا وعودا لم يك في بالها ان تفي بها

وتقدم لذلك صكوكا لم تتنازل عمرها لتقديم مثلها وتعني الامم التي بقيت طول العمر تحت اقدامها بأماني وآمال لم تحلم نفس هذه الامم بها ولا اضطرار انكلترا لها أن مقدرة السواس الانكليز أعظم من أن يستطيع أن ينكرها عليهم حتى أعند أعدائهم . وأنهم بالرغم استماتتهم في الصبر على المكاره الجسيمة وتحمل المشاق العظيمة وأهوال الحرب الكبيرة . فأن ظفرهم لا يرجع الا لمهارتهم السياسية التي لم يستطع أعدائهم التفوق عليهم فيها أو السير معهم في مضمارها . فأن من أعجب ماروى التاريخ أن يخرج الانكليز الطليان على صداقة دولتي الوسط تلك الصداقة التي دام عهدها ثلاثين عاما أكرم فيها الالمان مثواهم وحافظوا على وجودهم وامدوهم بافكارهم واموالهم وانزلوهم منزلة الروح من أجسادهم . فهل كان يتوقع احد أن يصل اعجاز السياسة الانكليزية لهذا الحد المدهش مع انه لو استطاع الالمان ان يستبقوا مودة الطليان لتغيرت الحرب نتائجها وامكنهم ان يفوزوا فوزا مبينا في خاتمتها

وكذلك لعبت السياسة الانكليزية دوراً متقنا وبديعا في ادخال امريكا في صفوف الحلفاء مع ان الرئيس ويلسون كان محتفظا بموقف الحيدة والنزاهة وكان يتوسط بين الطرفين ويرميهما على السواء بالوحشية والعناد وحب المضي في الحرب لغير مائدة ويصرخ فيهما من اعماق قلبه قائلا « ان كل ناحية تدعي انها انما تحارب في سبيل المدنية ومن أجل حرية الامم فلماذا لا تتفاهم الناحيتان وتعترف كل واحدة بشجاعة

أختها فتختم فصول الحرب الظالمة علي اساس القديم علي قدمه

وكانت كلما خرجت انكلترا على مبدء من مبادىء القانون الدولى اسرع في ارسال المذكرة تلو المذكرة !! ولقد شجعني موقفه المنصف هذا على ان استصرخه ليتدخل في وضع حد للخراب الذي حاق بي وبأهلي فأقام من شواهد انصافه ورافته وعواطف قلبه وشفقتــه مالا استطيع معه ان اهمل شكر مروءته

هذا الذي كان موقفه انساني محض لا يعرف تحيزا ولا ظلما اضحي ببركة مهارة السياسة الانكليزية يستصرخ امته لتجاريه ويقول علىء فيه « ان العالم لا يرتاح الا في هزيمة المانيا والقضاء على الملوكية في ارجائها والعسكرية بينها والغرور والبغضاء من صدور بنيها »

هذا بعض مانضربه من الامثال في قوة السياسة الانكليزية .
فما الذي اصابها اذن حتى قصر نظرها لهذا الحد المخجل المزري بازاء تركيا ؟

ان حقيقة مصابها في ذلك يرجع سببه كما يقولون في تعبيرهم لتعليقهم العربة في الحصان الخطاء انهم يعتمدون في ترويج سياستهم على التظاهر بالقوة امام الضعفاء والجبناء وبذل المال للمحتاجين والسفهاء وتزويق المعانى للمترددين والبلهاء وتقديم الاماني الحلوة لغير هؤلاء وبالجملة يضربون في سياستهم على احس نقط الضعف فيمن يتداولون معه لجذبه لصفوفهم وكسبه لناحيتهم .

ولهم في ذلك معرفة يقيسون بها درجة ضبطها ويعرفون مبلغ

أصحاب المعالي والسعادة سعد زغلول وإسماعيل صدقي ومحمد محمود وحمد الباسل

بنيتم بإخلاصكم الأصيل * ولم يبنا أسمى مقام

وما كنا لفضل الفضل يوماً * بأوفى لأجمل أربعة كرام

صحتها كما نعرف حالة الجو بميزان الحرارة

فلقد صح في ايطاليا اعتمادهم على (سوفينو) وفي رومانيا على (تيك جاكسيو) ولو تمكنوا من استمالة انور في تركيا لما أخطأ حسابهم ولا خاب فألهم ولكنهم اعتمدوا على الصدر الاعظم البرنس سعيد حليم ومنوه بأمنية عظيمة وآمال حلوة تلذ كثيراً لنفسه فقد كان طامعا في عرش مصر ووعدوه به ان استطاع ان يحمل تركيا على البقاء على حيدتها وبقى معهم على هـذا العهد وكان كلما داخلهم شك في نيات أنور أو بلغ مسامعهم خبر لا يسرهم أسرع الصدر بتبديد أثر مخاوفهم وتطمين هلعهم وما نظن الانكليز تألموا في هذه الحرب من شيء اعظم من ألمهم من دخول الاتراك في صفوف أعدائهم. يدلك على هذا قول المستر لويد جورج في البرلمان من خطبة له « ان احقر اعدائنا ايها السادة (يريد تركيا) هي التي آلمتنا وكادت تسبب لنا الهزيمة »

فما هي قيمة الصدر الذي اتكأوا عليه ؟ ؟ لقد كانت الكلمة في تركيا لجماعة الاتحاد والترقي التي فنيت شخصيتهم في أنور وجمال وطلعت ولم تك هناك كلمة أو ارادة أو رأي فوق كلمتهم وارادتهم ورأيهم حتى اننا لنذكر حكمها باعدام ثلاثة عشر نفراً من خصومها بتهمة التآمر عليها وكان بينهم الداماد الشاهاني (صهر جلالة السلطان رشاد) فشفع فيه قبل تنفيذ حكم الشنق فلم يرحموا دمعته او يقبلوا شفاعته . فهذا الذي كان العالم الاسلامى يدعو له كل جمعة على منابره وكان عشرون مليون

عثماني تحت أمرته لم يكن له في الملك شيء فما بالك بالصدر البرنس سعيد حليم الذي يمت بالقرابة لعدو الاتراك الالد « محمد علي » وهو مصري الجنس قبل ان يكون عثمانيا ويعرف الاتراك عنه انه بالرغم من المساعدات الجمة التى قدمها ايام بؤس الدولة وشقائهم فقد كان يرمى لغرض التبوؤ على خديوية مصر لانه كان يظن نفسه وأباه من قبل احق بها . فحشره الاتحاديون في زمرتهم ومنحوه اكبر مكان بينهم بعد ان افهموه بان يتجرد من أي مطمع في بلادهم او معهم وأن لا يحاول ان يستعمل نفوذ مركزه في تغيير اي امر او قرار يريدونه عليه ولو لم يتفق مع رغبته الشخصيه بل يكتفي بأبهة المركز ويبقي على استعداد لتبوؤ العرش الذي يتطلع أليه ويحلم به ! ! ؟ عندما تتحقق كل مطامعهم في الجامعة الاسلامية العثمانية

وقد ألحف في رجاء اعفاء ناموسه (سكرتيره) الخاص من الخدمة العسكرية فلم يلتفتوا اليه قاطبة وقال له انور « انا لا اغير رأيا امرت باتباعه »

من هذا وغيره مما لا يتسع المقام لسرده ترى ان هذا الصدر كان كالصفر على يسار العدد في تركيا وكان نفوذه بينهم عدما ولقد اتخذوه لهذا المركز العظيم خداعا للناس حتى لا يظن فيهم التعصب للجنسية وحتى يلاشوا به المناظرة بين الكثيرين الطامعين في الصدارة الذين

يظنون في انفسهم القدرة والاستعداد والكفاءة لملء كرسيها والتربع في دستها.

فان انور كانت اطماعه تمتد اليها وكذلك جمال والحاج عادل وغيره وكان زعماء الجمعية يخشون تسلط واحد من هؤلاء المزاحمين عليها فوقعت الخيرة على البرنس سعيد حليم ليخرجهم من مأزق الحرب الاهلية وانقسامهم من اجلها فرقا وشيعا وقد وفقوا لهذا الغرض باختياره وكانوا من اجل ذلك يفرحون ولا يثقون به ويحترمونه ويوقرونه ولا يهتدون برأيه ولا يتقيدون بفكره بل كان بعكس معظم الصدور السالفين كالخاتم في اصبع « الترياً مفيريت » الثلاثة الحاكمين انور وجمال وطلعت لا يتحرك حركة الا بامرهم ولا يخطو خطوة الا بارشادهم بل كانوا ينفخون فيه فتتحرك شفتاه ويدفعونه للختم فتسارع يداه وكان معهم اخرس واصم واعمى حتى لقد امضى عهدا بالدخول في صف المانيا ولم يستطع ان يبوح به للانكليز أصدقائه أو يذكر لهم خبره وأبى الا ان يستمر في تأمينهم على حيدة تركيا ويؤكده في كل فرصة حتى بعد اقراره وتعهده بالانضمام لاعدائهم

هذا تأويل رؤيا انكلترا في اعتمادها على هذا الرجل وكان الخطأ في سياستها مع تركيا قد جعله الله سببا في مصابها وعظم التضحية التي اضطرت اضطرارا جبريا اليها .

معذرة

لم تسمح الظروف الحاضره بان نبين ما بالصدور في هذه السطور فاذا كان في الاجل بقية وقدر لنا ان نطبعها مرة ثانية فنحن لا نتأخر عن نشر معلوماتنا خدمة للتاريخ ولاهل بلادنا

حكايتي

عدت من الاستانه العلية برفقه صاحبي السعادة عثمان مرتضى باشا واسماعيل اباظه باشا واحمد بك بكري وكثير غيرهم من كبراء المصريين ونجبائهم وكنا بالرغم من طول الزمن الذي قطعناه في هذه الرحلة لا نشعر بالم ولا جفوة فان المسافة بين الاستانة العلية والاسكندريه تقطعها بواخر الشركة الخديوية في ثلاثة ايام سويا ولكنا قضينا عليها في هذه الدفعه أحد عشر يوما..

ما كنا نعرف للكدر معنى ولا نذوق الألم طعما وكانت احاديث اباظه باشا وتنبؤاته على المائده وردود عثمان مرتضي باشا وابتساماته حولها تسلية كبري لزملائهما في هذه الرحلة وكانت عقيلات محصات خلفنا ماتنسي لاننسى قول احد اهن تألما من طول وقفتنا بجناق قلعه
(وكان اباظه باشا يكنى مرتضي باشا بأبي عفان والاخر يكنيه بابي السباع)

« عجيبه والله يا اختي لانسمع ألا ياأبا السباع ويا أبا عثمان وليس في أحدهما نفس يمشي المركب »

على حد قول الشاعر

اني افتح عيني ثم اغمضها على كثير ولكن لا أرى أحدا

وكانت تركيا تقفل البوغاز في هذه الاثناء فبقينا في انتظار ذلك اسبوعا علمنا في اثنائها قرارها الغاء الامتيازات الاجنبية من بلادها فزينت جميع المراكب التي في الميناء . الا مركبنا ؟ وأصرها شبابنا المصري لقبطانها فلما خرجنا من المياه العثمانية تشاحنوا معه وأصر على تسليمهم لاول مركب تقابله من الاسطول الانكليزي ولكن بديهة اباظه باشا الحاضرة ذللت الصعوبة بسهولة فتدخل بين الفريقين وقال للقبطان أنك اخطأت بالخروج على شعور ركابك وهم اخطأوا في اهانتك بدل عتابك فانت مخطيء وهم مخطئون وانت تسمح وهم يسمحون

ووصلنا الاسكندرية في التاسع عشر من سبتمبر فرحين مبتهجين جذلين مستبشرين ووجدنا اهلنا في انتظارنا فقرت عيوننا بهم واطمأنت قلوبهم لرؤيتنا

وتعرضنا لتفتيش في غاية الدقة ونهاية الصعوبة والشدة لان الشرطة كانت على علم من الاستانة بوصول قنابل على ظهر هذه الباخرة فقبضت على أحد الركاب المدعو مورس وسيق للتحقيق ثم افرج عنا بعد تعب وعناء

وفي التاسع من شهر نوفمبر بصرت بست سيارات حوالي عصر ذلك اليوم تقصد البيت على غير دعوة سبقت فوجدتها ملأى برجال الادارة وعسكرها قال كبيرهم انت مقبوض عليك قلت فليكن. قالو لكنا سنتركك الليلة مع اهلك ثم نرحلك غدا قلت على الرحب والسعة

ليلة بطولها

ما كان اقصر ساعاتها

كان الغد اخر عهدي باسرتي وعهدها بي غدني تخطفني يد السلطة والبطش وتذهب بي الي حيث لا علم لاهلي ولا لى

غدي تخطف السلطة العادية وحيد اسرة وعائلها فتنقله من الحرية الي السجن ومن البر الى البحر ومن الوجود العادي الى حيث لا يعرف مقره حاذولا باد فكيف باسرة تتصور بذلك حال وحيدها. زوج بائسة لم تجرم يستحرم من زوجها وأم مسكينة لم تاثم سيؤخذ وليدها من بين احضانها وطفلان بريئان ماجنت ايديهم ولاهما يعيان ستنتشل يد القوة اباهما من وسطهما فتنطفيء نور حياتهما وتظلم الدنيا في عيونهما

واخوة صغار ستكتب لهم الذلة والصغار

غوافل لا يعرفن بؤس معيشة ولا هن بالخطب الملم شواعر

تعودن خفض العيش في ظل واحد رحيم وبيت شيدته العناصر

ومن صحة الانسان مافيه سقمه ومن امنه مافاجأته المقادر

فكيف يهوي النوم اجفاننا او يقترب النعاس منا وعندنا هموم تمرق بين الجنب والمهاد وتجمع بين الجفن والسهاد.

فكنت اشجع هذه النفوس المسكينة واسليها واطمئن قلوبها الجزعة واواسيها واذكرها بقول الله « قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا » « سواء علينا اجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص » وقمنا في الصباح شاحبة وجوهنا متأثرة نفوسنا شاردة افكارنا ذاهلة عقولنا مغلوبين برغم ارادتنا على امرنا

ولما وقفنا للوداع واسبلت مدامعنا فوق الترائب كالمزن
أهبت بصبري ان يعود فبزني وناديت حلمي ان يثوب فلم يغن

وقبلت ولدي قبلة أحلى من جني الشهد علت منها وأي عل واني لك ان تقارن نشوة الخمر بتقبيل فلذة كبدك وقد يعقب الاولى الندامة ويعقب الثانية سرور متجدد — قبلة لا تكاد تلمس وجنته حتى تنقل طهارة الابن لقلب ابيه وتلهب شوق الاب بسعادة ولده وتعاليه — قبلة لم يرسلها الفم ليستهوي بها زوجة او يخدع معشوقة او يجني منها وزرا او يقضي بها اثما وانما شعاع حرارة الحب الابوي ترتسم على وجنة طفله ـ وليس التلذذ بمال تمده بين يديك أو جمال تتمهده بين جنبيك أو طرفة تلهو بها اودرة ثمينة تقتنيها يمكن ان توازيها وان قلبك

لينبض في مثل موقفي فكان يدق بتحرك شفتي وتتحرك لكل دقة منه عواطفي .

هذه القبلة أشرف معني يتأثر به الوجدان ويعجز عن وصفها البيان ولو خالط الناس في اعمالهم احقر وادنى ذرة من ذراتها لانقلب العالم جنة الخلد والنعيم واستبدل الخلق الشقاء بالنعيم المقيم

* * *

ورحلت وكان في المقدور أن أفلت ولكني تمثلت بقول ابى فراس

أسرت وماصحبي بعزل لدى الوغى ولا فرسى مهر ولا ربه غمر

ولكن اذاحم القضاء على امريء فليس له بر يقيه ولا بحر

وقال اصيحابى الفرار أو الردى فقلت هما امران احلاهما مر

ولكنني امضي لما لايعيبنى وحسبك من امرين خيرهما الاسر

ونحن اناس لاتوسط بيننا لنا الصدر دون العالمين او القبر

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغلها مهر

* * *

وغادرنا القرية العزيزة وكانت سيارتي تسير الهوينا والصحاب

الاستاذ عبد الله بک سلیم البشری

والاقارب تنبهنا ثم توارينا عن انظارهم بعد ان شكرنا مجاملاتهم وتقبلنا مواساتهم ووصلنا شبين الكوم في لمح البصر فلقيت بدرخان بك علي وكيل المديريه فاوضح لى ماخفى وتدرج في اخبارى عما سألقاه من حبس ونفي واذى بكلمات طيبه وجمل عذبه وهذا خير مايرجوه مصاب من ذوي القلوب الرحيمه والشعور الراقى - واستلمنى ضابط بوليس نسيت اسمه حار في امره وارتبك ارتباكا عظيما فهونت عليه المصاب بان اقترحت عليه ان نسافر برا بسيارتى فتوفر الحكومة اجر ترحيلي وعن تذكرته : وما كان اكبر فرحه حين ظفر بهذا الحل المدهش «في نظره» وكان حديثه طول الطريق الى ان وصلنا سجن الاستئناف بمحافظة القاهره

في السجن

وماغض منك الحبس والذكر سائر ... طليق له في الخافقين ذميل

امالك بالصديق يوسف اسوة ... فتحمل وطء الدهر وهو ثقيل

فصبرا عزيز القوم أن عن حادث ... فعاقبة الصبر الجميل جميل

حولت علي السجن وادخلت « الزنزانه ٢١ » فوجدتها بلقعا خلوة من الرواء خاوية من البهاء سقفها وارضها بالقار والقطران عليها سيماء الكروب والاحزان بابها حديد اسود ونافذتها عالية في آخر الجدران كل ما فيها من اثاث قطعة خيش وكوز ماء ووعاء فارغ لم اعرف أكان للأكل او البول او البصاق

ثم قفل الباب حارسه وتركني وحيداً في هذا المكان المقتم وبصرت بنفسي فوجدتني في هذه الغرفة الضيقة بعد البحبوحة الرحبة لا تسليه ولا سلوان بل انفراد واشجان وساعات كرب مالها نسيان

كثيرون يخافون السجن ويخشون بأس الوجود فيه ولكن كل صعب يهون أن تلاقيه وكلما ذكرت ان تعاستك وألمك وحبس حريتك وكدرك لم تك في سبيل يخدش شرفك او يثلم عرضك رأيت انك في سجنك اكثر مجداً منك في حريتك وفي هذه الغرفة السوداء احسن حالا مما لو كنت في قصرك وهل الحياة الا ذكرى حسنة تعمل لها

طول عمرك بامل ان تموت عنها وتخلف آثارها لذويك يحيون عليها

كثيرون من المهمين والاثرياء عاشوا كما يريدون وقصروا همهم في الوجود علي الفخفخة وملء البطون من غير ان يفكروا في بلادهم او يحتملوا اقل اذي في سبيل نجدتها وقت مصابها ورحلوا للدار الباقية فانمحى من الوجود ذكرهم بمجرد ما ووريت في اتراب اجسادهم

وكثيرون يقاسون في سبيل الوطن وخدمة الامة المصائب الجسام ويلقون في هذه الحياة الدنيا من ضروب الحبس اصنافاً ومن اصناف العذاب والنفي والهوان الوانا واشكالا يتقلبون في البؤس والشقاء ويصادفون نهاية التعاسة والبلاء تخرب بيوتهم العامرة ويتشتت شمل اسراتهم العالية ويموتون شهداء يكرمون ويصبحون مخلدة اسماؤهم في اوطانهم باقية ذكراهم نبراس هدى لابناء بلادهم وهم فوق ذلك ممجدون احياء عند ربهم يرزقون — هذا هو الاثر الذي لا يشترى باموال قارون ولا يستطيع ان يحرزه الا العاملون الاعلون الذين يتجردون من انعمهم وينسون انفسهم ويقدمون ما تملكه ايمانهم من انفس واموال وبنين خالصا لوجه بلدهم الامين . تفنى اشخاصهم ولكن ذكراهم باقية أبد الآبدين معطرة بحسن الاحدوثة وخالد الذكر وما ادراك ما هذا الاثر هذا مغزي الحياة فمن شاء عمل له ومن شاء اتخذ حياته لهواً فعاش نسياً ومات نسيا .

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

* * *

وعمل الحارس المفتاح في الباب حوالي الساعة الخامسة ونادى سجين (٢١) اجبته – بلى – قال هذا عشاؤك وناولني قطعة خبز وشقفة فيها إدام فترددت بين الاخذ والرفض ولكن الاول رجح عندي فتناولت الخبز حافا واوصد الحارس الباب .

* * *

وغابت الشمس فكاد يغيب صوابي معها لا فزعاً من الحبس ولا جزعاً وانما حزناً على وصول الحال في بلدنا لدرجة اتهام الابرياء بما يصح ان يكون تاج مفخرتهم وسبب التحدث بمكارم أخلاقهم وعزتهم وقلت افهل اقضي الليلة هنا ؟ وبأي حق يكون ذلك ! —

اما عن البقاء فهذا ما لا بد منه واما عن الحق فانه للقوة .

وما كنت اظن قبل الآن ان مجمع الاشرار والفاسقين يضحى محلة الابرياء والمتقين ولقد انقلبت من الوقت حالته وانعكس من الزمان آيته وبقي الخير والشر سواء والقانون هوى وهواء . الجو بارد جداً تكاد تمتص برودته البقية الباقية من الدم في جسم محتم وصدر متهم وقلب مهتم والبعوض يروح ويجيء من خارج المكان وصراخ في الداخل من المسجونين والسجان فكيف أنام ؟ ؟

شيخ الاسلام خيري افندي

ان دين الرسول علق النصـ ـر على [illegible]

عندكم قوة السلاح وعندي من قوى الحق قوة الايمان

توسدت الحذاء وتغطيت بالمعطف ونمت على قطعة الخيش وأطلتها بقفطان وحاولت النوم فلم افلح واالليل طال .

هـــذه جناية الليل ولمن نشكوه وهذه متاعبه ومن ذا الذي يقف امامهـــا او يعترضها في وجهها سهد يطول وفكر يجول ونوم يستحيل وكأن المرء في ميدان نزال وطعن رجال والليل سابل ستره والظلام هاجم بخيله ورجله ولا المواقع تنتهي ولا النوم يحل .

ما اطول الليل على الساهر   اما لهذا الليل من آخر

طال شوقي لالدار احرسها فان للبيت ربا يحميه ولا لأسرة بائسة فقضاء الله تلاقيه ولا لمال استثمره واستبقيه فأن المال لله يتصرف فيـه ولـكن لطفلين بريئين تتطلع نفسي لهما وفيها حسرات ويتعذب قلبي لبعادهما ويصلى مايصلى من الزفرات والحرقات

لقد كنت ياليل لباسا نجد فيه مانصبو أليه من راحةونعيم وسرور مقيم تعوض على الجسم ماعناه في النهار من العذاب الاليم

وكنت ياليل ستر العاشق والمعشوق يتجاذبان الشجون عمافي الطوق ويدليان بما في الصدر من الاسرار ومافي القلب للحب من الاخبار ويتبادلان قبلات الهيام بقدر مايشعران في العشق من الالام ويكنان من الغرام يودان لو ان العمر كله ليل ليطول بطوله تراشق النظرات وتبـــادل القبلات

وكان في الليل مجال السرور لطالبه والحبور لناشده وفيه تدبرت احوال عظام وقامت حرب وظل سلام

ولكن فيه للسجين مصائب والام وشجون واسقام فكم يتدبر الماضي اسفا على زواله ويبكي الحاضر لما اصابه في نفسه وحاله وينظر الى المستقبل نظرة الخائف الوجل المراقب على دخل - ياليل ! وما لطرب اوليتني ولا في حزن واسيتني ولا من نائباتي انتشلتني اناديك خيفة ان تطير ساعاتك الطويله المالة بقيه من صبر يظاني . ياليل ! وما اناجيك لاني اريد مرافقتك او يلذ لي مصاحبتك ومصادقتك وانما أتوسل أليك بقمر سمائك الزاهر وانوار نجومك المتلألئة البواهر وباسرارك البواطن والظواهر ان توقف جيوشك عني فلا قبل لي على منازلتها وتبدد شبا كلك ومتاعبك مني فانني اعترف بعجزي عن مقاومتها واستحلفك بخالقك وراجيك واصفيائك ومواليك ان تخف من حملتك وتقلل من كربتك فهذا جسم اضناه الدهر بالامه ومشاكساته وحول عليه الزمن جيوش معاكساته فلم يفرغ من محاربتها ولو لم يعترف بهزيمته امامها فكن من الشجعان المنصفين ولا تتحامل مع المتحاملين والا ان كنت تريد ان تثأر له لانك منه وكل شيء يحين الي اصله ويحابي أهل جنسه فأني ألقي السلاح من غير هزيمة اعترافا من العاجز يهون الهزيمة فلقد

تكاثرت الظباء على خراش فلا يدري خراش مايصيد

وانت ياليل ! طل اولا تطل لقد بلغت الروح مني الحنجره واشتدت

ازمة الامور حتى كأن لم يعد سبيل الي ميسره وقد جري قلم القضاء بما اری فيك من ذلة وشقاء وارق وبلاء ولئن تقصر ساعاتك بعد الان فقد طال ما أوذيت من طول ثوانيك وما اجدرني ان انشد فيك

يا ليل طل او لا تطل   اني على الحالين صابر
لى فيك اجر مجاهد   ان صح ان الليل كافر

رقبت فجرا يطلع في سماء زهراء يعقبه شمس تزهو في اجواء حسناء فكان هذا الامل كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء فلا النحس انتهت محنته ولا الليل انقضت طولته وبين جنباي مظلم البناء اناجي الليل والاهواء غبراء وهل يسمع الصم النداء

وبت فريح العين لا أعرف الكري   طوالي الليالى والجوانح لا تهدا
وياءيها النوام والشوق عازر   الا احد بشري بغفوته السهدا

وسمعت صوتا يصيح مع الديك صاحبه فانصت له واذا به مسجون بجواري ينادى من اعماق قلبه بكل ما في وسعه. الله للمظلوم الله في الظالم وانتهزت فرصة سكونه وسألته عن اسمه ومظلمته قال اسمي اليوزباشي عوده على جيء بي هنا لوشاية جماعة السفلة والله يتولى حسابهم وهو احكم الحاكمين .

قلت افكنت اول المحبوسين قال. لا. قلت. افليس التشجع اولي قال بلى. ومن انت ؟ قلت زميل عملك القديم فلان . . . . قال وما حكايتك قلت وفق حكايتك

(اقرأ تفرح جرب تحزن)

يقرأ قاصد السجن على لوحـة امامه « السجن تأديب وتهذيب واصلاح » ولو كتب على الذي امر بنقش هذه الجملة لما وجد الا نقيض آيته وعكس كتابته . اما عن التأديب فلا يسمع فيه الا هجر القول وخشه ويكفي ان يكون الموكلون بالمساجين من احقر الطبقات واصغرها نفسا واقلها ادراكا وانقصها فهما

وأي تهذيب هنالك وأنت ترى الناس تقضي الحاجـة وابواب المرتفقات مفتوحة والعسكر من فوقهم وامامهم بشكل يرجع بالتصور الي احط ايام رآها العالم .

وهل يمكن ان تصلح النفوس بالصفع واللكم والشراسة والشدة والالم والتعاسة ؟

اذا كانت هذه وسائل تأديب الاشرار وتهذيبهم وتقويم معوجهم واصلاح نفوسهم. افلا يمكن ان يكون هنالك فارق بين من يسرق نعلا ومن يحبس وهو يهوى وطناً ؟ ؟

الجوع كافر

وعضني الجوع بنابه فوقعت على قطعة الخبز اقرضها كما تقرض الفأرة جريداً وإن شئت قل حديداً عيش جامد كأنما عجن من صمغ وأسمنت (وروح الدقيق) الا انني وجدت فيه من اللذة ما لم اجده على انفر طاوله وفي انخم مكان

محمد كاظم بك الاجزجي الشهير بالعتبه الخضره والضابط البحري تحسين بك يهيئون الطعام بأيديهم

(الرواية التي مثلها المصريون في تياترو المعتقل)

ثم شربت من الكوز وكان الماء مخلوطا بصدئه وتذكرت بعد ان حمدت الله على الري والشبع حديث الرسول عليه السلام « اخشو شنوا فأن النعمة لاتدوم » وأن فيها من الحكمة البالغة مالو اتبعها قومنالوفروا على انفسهم طائل الاموال التى تذهب في الرفاهة المتناهية ولاستعدت النفوس لمقابلة الخطوب وطوارىء الدهر من غير ان تتألم من التغيير الذي يفاجئها والشر الذي ينزل بها وتزيل هذه العاده منها اي اعتداد بفوارق الحياة فيستوي لديها ما علا فيها وما دنا منها

الرجل الاحمر

وبصرت من النافذة بعد جهد جهيد فوجدت رجلا في لباس احمر يلاعب كلب « المأمور » ويضحك ثم يدخن ويعدو ثم يقف ويتكلم بحرية لايجرأ مسجون عليها فانتهزت اول فرصة وسألت عنه قيل لي انه محكوم عليه بالاعدام وسينفذونه فيه غدا

هنا الموعظة الحقة هنا العظمة الالهية تتجلى وهنا تقف على سر احتمال امثالنا لمصيبتنا الجلى فان الله سبحانه جل شانه ينزل على كل قلب مصاب من الصبر على قدر مصيبته والا فكيف استطعت ان انام في الظلام الحالك وفي غرفة ضيقة على البلاط المثلج وتجردت من كل عاداتي التي عشت عليها وفارقت أسرتي هذا الفراق المر وقويت مع ذلك على احتمال عذاب البلاء الوقع . وكذلك تمكن هذا الذي سيموت لامحاله

غدا من ان ينسى بلاءه نسيانا تاما فيضحك في وقت البكاء ويدخن ويأكل ويشرب ويجري ويتكلم بدل أن يصوم وينكمش ويصمت .

يعرف بان حبل المشنقة سيشرب من دمه وأنه يكون في مثل هذه الساعة التي يلهو فيها من الغد جثة هامده تحت الثري فلم يلهو تري ؟

أمجرم سافك وآثم فتاك تعود قتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق فرأي كيف يسهل قتل الارواح فاستسهل مصيبته ؟ ام بريء يضحك من حكم القضاه ويهزأ به ويفرح للقاء الله ليشكو أمره ويجد من رحمته اعظم سلوي ومن مغفرته مايمحوا اثر بلواه . أم يريد ان يموت شجاعا على حد قول الشاعر

وأذا لم يكن من الموت بد فمن العجز ان تموت جبانا

الى القلعه

بقيت على هذا الحال سبعة عشر يوما لايسمحون لي بالخروج من هذه المغارة الا لاذهب لدورة المياه خمسة دقائق دفعتين في اليوم ؛ الي ان صدرت الاوامر بترحيلي لقلعة مصر وسرت في عربة مقفله يركب بجوار حوذيها جندي وبجواري اثنين اخرين وسلموني بالايصال لجاويش انكليزي فوجدت بابا كبيرا كتب عليه بالانكليزيه « الحبس »وفتح فدخلنا الي بهو فيه من علي يسارنا زنازين كثيرة الا انها فوق الارض لا كما في سجن الاستئناف تحتها ويدخلها ضوء الشمس بالنهار ونور الغاز

بالليل فوقفت بجانب احداها وسالت الله ان يجعل لي نصيبا من المبيت والبقاء فيها الا ان الحارس طلب الى ان اتبعه فسرت ثم درت على اليمين الى ان وصلت لغرفة واسعة ونظرت من بعد فوجدت اخوانا كثيرين واصدقاء عديدين ولم اصدق ان الحارس سيتركني معهم حتى قال : « اقم هنا بين ابناء جلدتك » ولم استطع ان أبين عن فرحي الشديد لهذا الانتقال الجميل من جحيم الى نعيم السجون . . . لان الهزال كان اخذ مني كثيراً وبات الاسقام علي وتولاني ضعف كبير فلما أفقت من غشية الفرح التفوا حولي يسألونني ما اتى بي قلت لا أدري وانما يغلب على الظن انهم يجمعون هنا كل من بتوا في أمره ولم يجدوا سبيلا الى محاكمته وكانوا يظنون ان هذه اول ليلة لي فبلغ منهم الاستغراب مبلغاً عظيما حين علموا بأمري وسمعوا حكايتي ووجدت موائدهم ممدودة وعليها من صنوف الطعام ما تقر العيون وتشتهي الأنفس ولكن بلغ مني اتعود على التجرد من خيرات الدنيا الى درجة الزهد فيها فلم ألح الا على تبغ كثير ادخنه وقهوة اشربها وكأنما اشرب من رحيق مختوم ! وبقيت مع هؤلاء الاخوان احمد بك صادق والمرحوم المبرور محمد امين بك حلمي والاخ حسن بك حسني شفيق وحسن بك خالد ابو الهدى ومحي الدين بك نجل الاميره فاطمه هانم وحامد بك العلايلي ومحمد افندي نافع وعبد الرحيم افندي صبحي ومحمد بك ابراهيم والدكتور نصر فريد الى ان طلب الينا الاستعداد للسفر الى مالطه وصرح لنا بمقابلة اسرا تنا قبل الرحيل بليلة اليها

وجيء بها وخرج كل سجين يلاقي أهله في زنزانة من التي مر بك
وصفها واراد الضابط المدعو محمدمتبولي افندي صفا ان يبقي بابها مفتوحا
ويتسمع بكاء الاهل ويرى دموع الاقارب ولكن آداب هارفي باشا
حالت بينه وبين هذه الكبيرة . وكان في صرخته فيه مرتدع ومتمظ !
ذاك صنع مواطننا وهذا صنع الانكليزي معنا ؟ في وقت نكبتنا !!

ولم نم ليلتنا بل بقينا نفكر في بلائنا ونذكر آخر دقائقنا مع اسراتنا
ثم نحزم امتعتنا الى ان لاح الفجر وجيء في الساعة السابعة بمائة جندي
شاهرى اسلحتهم ومشينا وسطهم الى بوابة عزب فوجدنا عربة السجن
السوداء في انتظارنا . ركبنا الى ان جئنا سراي عابدين فقمنا اجلالا لها
من مقاعدنا الى ان تولينا عنهـا ووصلنا قشله قصر النيل فلقينا قطاراً
خاصا ركب في درجته الاولى اعيان النمساويين والالمان وفي الثانية رجال
الطبقة الدنيا منهم واما نحن فقد وضعونا مع اعيان الاتراك وضباطهم في
الدرجـة الثانية وتحركنا جو الى الظهر لجهة محطة مصر والحقنا بقطار
المفتخر وكنا كلما جئنا محطة رئيسية ينضم الينا اسرى آخرون وجئنا طنطا
فقال حامد العلايلي بك يخاطب اهله « احتجوا على هذه المعاملة قلنا
ومن يقرأ ومن يسمع لقد اسمعت اذ ناديت حيا »

ووصلنا الاسكندرية في الساعـة الخامسة تقريبا وساقونا وسط
الامطار المنهمرة والاهواء الشديدة الباردة الى ثكنة رأس التين وكان
الجوع عضنا بنابه وبلغ منا مبلغا كبيراً فأنهم لم يعطونا ولم يسمحوا لنا

اليوزباشي احمد حموده بك

قضى ثمان سنوات يحرر بأمريكا صحيفة للدفاع عن الاسلام وتطوع في حرب البلقان وقبض عليه في اواخر سنة ١٩١٤ مع مورس

بشرا شيء من فجر اليوم الى المساء ثم فرقوا علينا شايا في تباث وجبنا وعيشا فتخاطفناه فرحين والتهمناه حامدين شاكرين ووزعنا على اماكن مترية في غرف قذرة بقينا نتبادل النكات بها ونضحك من معاملة حكومتنا لنا وكان والد المرحوم محمد امين بك حلمي ناوله دجاجتين وبضع ارغفة في سلة فاخرج منها واحدة ونصف الخبز وقال « نحن لا نعرف ما يصادفنا غدى وان نحن أكلنا كل ما معنا ربما لقينا في الغد مصابا أكبر من مصاب هذا اليوم فلنرض برد نصف جوعنا ونصبر على آلام النصف الآخر » فشكرنا له كرمه وقلنا من باب التسلية والضحك « انك لتعيد لنا مجد العرب وآيات كرمهم فقد كانوا ينحرون لضيوفهم ناقة من إبلهم واما انت فقد اوليتنا نصف مالك »

ونفخ في البوق حوالي الساعة السادسة صباحا فنفرنا الى حيث طلب الينا ان نحمل امتعتنا على ظهورنا وفي ايدينا فرضخنا صابرين وامتثلنا راضين ومشينا في وسط الجند والامطار تبللنا الى ان جئنا البحر فلقينا برطوما من التي يأتون بالاغنام من البواخر عليها فأشاروا علينا بالنزول اليها وجره قاطرة الى الباخرة سعيدية فأقلتنا وكان كذلك مقام العثمانيين « والمصريون من صميمهم » على ظهر المركب في مؤخرتها .

ولما حلت الظهيرة نقر الناقرون كما يفعل في رمضان المسحرون فجري الخدم الى المطبخ وعادوا بأواني من صفيح ملأى ببطاطس غير مقشور ولحم ذفر غير ذي طعم وقذر

وما كادت تغيب شمس اليوم حتى اذن للباخرة ان تتحرك

وما هي الا خطرة ثم اقلمت   بنا عن شطوط الحي اجنحة السفن

فكم مهجة من زفرة الوجد في لظى   وكم مقلة من غزرة الدمع في دجن

وزاد عصف الرياح الى أن انطفأت مصابيح الباخرة وتقطعت كهرباؤها وفر العسكر من أماكن نقطهم خفافا وثقالا لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا واما الاسرى فقد اعتصموا بخشب السفينة واذعنوا للنازله باعناق خاضعة ووجوه عانيه ونفوس ساليه ينظرون من طرف خفي ويتوقعون كل دقيقة اي خطب جلى الى ان اذن الله بعد عشر ساعات بلاء في الركود فاصبح كل يسلم على رفيقه ويهنيه ، بالسلامة من اكدر لياليه .

على نفس هذه المركب . عثمانية ، ركبنا البحر للاستانة العلية ولكن اين الثغور العذاب من ثغور العذاب فهناك نغمات الاوتار تدعو الى اغتنام الاوطار وتهدي الارتياح الى الارواح وهنا اصوات الجند وانها لأنكر الاصوات تجدد التعاسة وتضاعف الشقاء

هناك شهي الطعام ورائق المدام بين يانع الازهار وزاهي الانوار وهنا أناجر الاكل الذي يسد نفس الجائع ويقتلها

هناك المسافرون كسرب الظباء هذه مائلة وهذا عليه البهاء وهنا جماعة الاسرى عابسه لا تجد بينها سنا ضاحكة ولا وجوهاً مستبشرة

وجئنا مالطه بعد اربعة وستين ساعة تقلب فيها الجو تقلباً عجيباً وكانت كلما بانت الشمس ساعة غابت اثنين . وكنا نظن اننا سنترك احراراً فاذا هم ينبهوننا الى اننا سننتقل لحبوس فيها . واليك نبذة عنها

مالطه

هذه الجزيرة التي تكاد ان تكون كالنقطة الحقيرة في الخريطة ترسخ في ذهن العارف بها او القارىء عنها او عن تاريخها فوائد أبعد من ان تقارن بحجمها فان ميناءها تستطيع ان تسع اسطول بريطانيا في البحر الابيض ويحق لها بذلك ان تكون مفتاح الامبراطورية الانكليزية في الشرق وكذلك لوقوعها بين اوروبا وافريقيه وتبعد ستين ميلا من صقليه ومايتين ميلا من تونس

وكانت مالطه دائماً مطمع الامم الطامحة في اعلاء شأن تجارتها وزيادة املاكها ويذكر التاريخ انها كانت ميدان القرثاجيين والرومانيين والعرب والنورماد وغيرها طولها سبعة عشر ميلا ومساحتها خمسة وتسعون وهي مع جوزو وكومينو مائة وسبعة عشر ميلا وسكانها حسب احصاء ١٩١١ (٤٤٢ — ٢٢٨)

والمالطية نوع متجانس يتميزون عن جيرانهم بلغتهم وعاداتهم وملابسهم الخاصة التي يتعلقون بها كثيراً وهم متناسلون من الفنيقيين الذين استعمروا الجزيرة من ألف سنة قبل المسيح ومع ان اجناساً كثيرة

مختلفة حكمت هذه الجزيرة الا ان المالطية تمسكوا بجنسيتهم ولم تتغلب اي امة على صلابتهم . وفي الواقع فان المغيرين لم يدخلوها بعدد كاف لان يجمل سكان البلاد الاصليين يندمجون فيهم

كثير من الاسرات القديمة في مالطه دخيلة عليها ويسهل عليك تمييزها بألقابها وأسمائها الاجنبية عنها ولقد تزاوجوا مع سكان الجزيرة الاصليين والآن مالطيون اكثر من المالطية .

وأعجب ما في الامر ان يكون لهذه الجزيرة الحقيرة بمساحتها الصغيرة بسكانها شأن كبير في بعض الحوادث العظيمة في تاريخ اوروبا ففيها سلم هاملكار الى تيتوس سمبرونيوس

ونزل اليها الحواري سان بول حين تحطمت سفينته وبشر بالمسيحية فيها

وكانت مالطه في اثناء الحروب الصليبية قاعدة اعمال اوروبا المسيحية ضد الهلال

ورأى نابليون منزلة الجزيرة وأهميتها كقاعدة بحريه عظمى فقال لسفير انكلترا في باريس « ان الحرب او السلام يتوقف على مالطه »

ولما دخل غاريبا لدي « روما » فكر الفاتيكان فى امكان نقل الكرسي الى مالطه

والاغريق هم الذين سموها مليتا (أعنى ارض العسل) فحرفها العرب وقالوا مالطه

الأسرى يتنزهون في حقول مالطه برفقة الحراس المسلحين والسيدات بلباسهن الوطني يتفرجن عل

ضباط البارجة أمدن

وكان اكتساح العرب لها في سنة ٨٧٠ ميلادية وبقوا فيها مائتى عاما فدانت لهم في الوقت الذي امتلكوها فيه اهم ما كان معروفاً من البلدان في العالم من الجانج في الهند الى الطونة في اوروبا .

والعرب هم الذين قسموها الاقسام الحاليه ولهم عليها فضل الابنية المشاده والزخارف المقامه والنظامات البديعةوالعداله وهم الذين بنــوا في جوزو عاصمتها « رباط »

اهم حاصلات الجزيره القمح والقطن والكمون والبصل والبطاطس

وتتكون مالطه من خمس ضواحى واربعه وعشرين قريه وعاصمتها فالته بها مبان عظيمه وكنائس نخمه ومتحف كبير وسراي للمحافظ جميلة ومحلات للتمثيل وأوبرا وكتبخانات للجمهور وبورصه واسواق ونواد ومستوصف للمجانين له شهرة فائقةومصحات للمرضي كثيرة . ومحافظ مالطة يجمع بين الرئاسة القيــادة العامة ويساعــده في الحكم « مجلس الحكومة » الذي يتكون من وكيل الرئيس وتسعة اعضاء موظفين وثمانية منتخبين

أشياء عن مالطه

بمالطه ربعمايه وثمانون كنيسة وفيها اربعة الاف قسّ وهم مسيحيون كاثوليك

تكاد ترى بيتا خاليـا من شغل (الدانتله) فالسيـدات من

عظيماتهن لفقيراتهن يشتغلن بها ويمشن منها ولهن جميعا فيها القـــدح المعلى . .

وبستورد الاهالي التبغ ورقا وتشتغله سيجارا وسجايرا تصدره للخارج

اللغة المالطية

عربيه محرفه ولهم فيها رطانة تجلعها تبين مضحكه لاول وهله ومن امثالهم « وقت الشمل كيف الاعمى وقت المنجبى تجيب قمر البرمه » وليس في ابجديتهم غين ولا خاء وهم يعتقدون من يوم اذدخل الانكليز بلادهم سنة ١٨٠٢ ميلادية انهم سيغادرونها غدا ويحلفون فيقولون « حق الله حارجين عدوه » مثلهم كذلك الحلاق الذي كتب على بابه « الحلاقة باكر مجانا » !!

ولقد كنا نضحك حتى نستلقي على اقفيتنا حين نسمع بائع السمك يقول لنا « زحلق الحرده حد الحوت » اي هات الخرده « العمله » وخذ الحوت « السمك »

فاذا طلبت اليه ان ينتظر قليلا قال « لا « ما اسطاعش » اي لا استطيع وهذه عربيه فصحى قال الله تعالى « فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا »

وفي مالطه خمس صحف يوميه منها واحده « الديلي هرالد » شبه

رسمية تظهر بالانكليزية وثلاثة باللغة المالطية التى يكتبونها بحروف لاتينية وواحدة باللغة الطليانية .

ولهم حزب وطني متين اعتقلوا رئيسه طول زمن الحرب في قشلاق قصر النيل وعند المالطية من الوداعة وكرم الاخلاق والذوق شيء كثير

وغالبهم موفق في عمله ساع لرزقه وعندهم كليتان جامعتان واحدة للذكور وأخري للاناث اما عن الاندية فكثيرة ومنتشرة

والنساء ولودات مكثيرات فانك تجد الواحدة تحمل في بطنها جنينا وفوق كتفها طفلا وعلي يديها آخر وامامها اثنان او ثلاث .

اما الطقس فيال للبرودة دائما والسماء دائمة الامطار ويكاد يكون الرعد كقصف المدافع الثقيلة .

ولمالطه جند خاص اسمه المليتيا وضباطه وصف ضباطه منهم

وبها حوض عظيم لتصليح ما عطب من السفن وتعمل فيه ألوف الايدي الوطنية

اما المزارع فقلما تجد غيطا مساحته فدان بل تجد كل مالك قطعة لا تتجاوز قيراطا او ثلاثة قراريط يسورها من الاربع جهات بسور هائل يبلغ في الغالب خمسة امتاراً ارتفاعاً ولا باب له ويكتفون بوضع قنديل زيت بجوار صورة المسيح والعذراء فيشعلونه قبل الرواح ثم

يطفئونه في الصباح ويعتقدون بذلك ان الحقل اصبح في مأمن من عبث العابثين او اللصوص المتجولين ولا يكاد يخلو منزل من حديقة غناء وروضة زهراء .

عود على بدء

انزلونا من الباخرة والجنود تحتاط من الجانبين بنا شاهرة سلاحها بخيلها ورجلها واهل مالطه واقفة تسمع وترى وكأنها كانت على موعد بحضورنا تتأسف رجالها وتولول وتبكي النسوة بينها . الى ان وصلنا محلة الاعتقال بجوار القلاع العسكرية .

وكان هنالك محلتان للاسرى احداهما معسكر سان كلمنت وفيه خيام منصوبة في فضاء كبير وبناء عظيم يتناول فيه الاسرى طعامهم ويغلب على الظن انه كان مسرحا للجند قبل الحرب وتحيط به الاسلاك الشائكة من كل جانب وامامه ادارة السلطة الآسرة .

اما الثانية فكانت ثكنة فردالا نسبة لاحد الفرسان الظلمة الذين حكموا الجزيرة وهي بناء شاهق عظيم شادته يد الصخر واعلته قوة الفرد الغشومة يكاد يكون قلعة ثابتة من دورين والبناء كما يرى القاري في الرسم مستطيل فيه كل المنافع من دورات المياه والحمامات والملاعب والاندية بحيث يكاد ان يكون مدينة في ذاته لا ينقصها الا « الجنس اللطيف » واقيم في الطرف الاخير حانوت فيه كل ما احتاج اليه الاسير

صاحب الكلمة المأثورة « الحياة كرامه »

محمد ابراهيم بك رئيس تلغرافات عابدين سابقاً

من مأكل ومشرب واذا قام بنفسه أن يشتري شيئاً ولم يجده فيه فما عليه الا ان يأمر المدير فيحضره له من الخارج في بكرة اليوم الذي يليه وكان الباشمون في اول الامر من الماالطية ولكن الاسرى احتجت على ذلك وطلبت الى السلطة ان تتخيرهم من بينهم فأجيبوا الى سؤلهم ولا يفوتنا ان نذكر ان الالمان استأثرت بهذه النعمة فقصرت الفائدة على ابناء جلدتها

وجعلت السلطة الثكنة ثلاث درجات وأقامت الضباط وكبار المالكين على مختلف اجناسهم ونحلهم في الدرجة الاولى منه والحق تقول هذه أبهى غرف الثكنة وأكملها نظاما ونظافة ورونقاً وعناية ففيها انوار كثيرة ونوافذ عديدة وناد فرش بالرياش الطيبة والاثاث الجميل وغرفة أكل بديعة . واخرى للبليارد ترى هنا صور اغلبها — وكانت الطبقة الثانية في منتصف الثكنة والطبقة الاخيرة في نهايتها وكان لكل درجة مطعم عام يضمها

ولكل مطعم من هذه الثلاث لجنة ادارية ينتخبها اعضاء المطعم بالتصويت العام وهذه اللجنة هي التي تنتخب هيئة الطباخة والخدمة وتستلم الارزاق التي تعطيها السلطة وتتناول الاشتراكات الشهرية من الاعضاء وتشتري اللوازمات الضرورية لهم وتراقب المشروبات الروحية وتعمل بالجملة كل ما فيه راحة المجموع وسعادتهم

وكان اعضاء المطعم الاخير معفون من دفع اشتراكات شهرية لانهم

كانوا يكتفون بتعيينات السلطة فيتناولون الفطور والغداء ويأخــذون شاي العصر بلا عشاء

وكان عضو المطعم الاول يدفع جنيها ونصف شهريا وعضو المطعم الثاني ثمانية عشر شلنا عباره عن تسمين قرشا وأخيرا اجعلوها اتاوة معلومة قدرها خمسة شلنات في المطعمين في نظير الخدمة وطهي الطعام ثم تقدم اللجنة قائمة بثلاث اصناف للعشاء يتخير كل عضو منها مايشتهيــه صنفا وطعما وثمنا وكان ثمن الصحن يختلف بين شلن واحد وثلث شلن وهذا لا يمنع من ان يتخير الثري اصناف العشاء كلها أو جلها دفعه واحده

وتألفت هيئة الخدم من البحاره الذى وزعوا الغرف بينهم وجعلوا على كل فرد شلنا في الاسبوع نظير تنظيف الغرفه وتحضير السرير ومسح الجزمه كل يوم .

ماتعطيه السلطة

كان يوزع على كل فرد من الملكيين والعسكر الانفار وصف الضباط ربع رغيف ودرهمان سكر ودرهم شاى ونصف رطل لحم محفوظ او مثلج وكنا نقرأ على ختم اللحم تاريخ ذبحه سنة (١٨٨٠) الي سنـة (١٨٩٠) م ونصف رطل خضار واوقية مربه وما كانوا يستطيعون ان ياتوا لهذا البحر الزاخر من الاساري بخضار جديد كل يوم فكانوا يخزنون خضار الاسبوع مرة واحده ثم يوزعونه بالتوالي فكان وهو

يوضع على اعتاب الحجر كانه على عجل ولو عرف الآسرون بلغة الدود لجملوه يتولى سحب الخضار وتوزيعه

وكانوا يوزعون على كل اسير كيلو غراما من الصابون العاري وقنطاراً فحما للتدفئة والطبخ كل شهر

اما الخبز فكان لا يصلح للبقاء طول اليوم الا اذا قددوا الا وجدته الوانا كثيرة كقوس قزح كل لون يفسر مادته فكان فيه الطحن والارز والفول وغيرها . وفي بعض الاحايين كانوا يستبدلونه بقسماط يقف امامه الانسان كما يقف امام سر الوجود حائراً فلئن بله بالماء لم ينتفع به ولئن أكله جامداً شكا باسنانه دهراً .

اما الزبدة فكانت صناعية وليتها استمرت على المجيء طول أسرنا بل انقطعت بعد السنة الاولى عنا واما البيض فكان اندر من الكبريت الاحمر وكان يدخل الى الثكنة كما يدخل الحشيش والافيون بلادنا مهربا وكان الذي يملك بيضة يتيه على الناس كانما في حيازته عزبة اومملكة ويهون عليه ان يفرط في جنيه يقرضه لمن يسأله قرضا ولا يتهاون في هذه البيضة .

واني لاذكر وقد أتيح لى مع عبد الغفار افندي متولي وحسن افندي نور الدين ان نأكل صحنا فيه ثلاث بيضات فكنا كمن ظفر بملك كسري أنو شروان او خاتم سليمان ونظر الينا عبد الغفار افندي وكانت له نظرات حكمة وظرف وقال « الآن أتؤمنون بخير بلادنا

وتعاهدون الله علي ان لا تهزأوا بطعام اهليكم . . . ولو كان خبزاً حافا من غير إدام . قلنا آمنا وعاهدنا .

اما المصريون فقد انشأوا لانفسهم مطعمين فكان الميرالاي خليل حمدي بك وحامد العلايلي بك وحسن شفيق بك في مطعم ولهم طاه خاص وكان الباقون في مطعم آخر ونحن ندين للريس حسين الكريدلي بفضل اتقان الطهى علي مختلف اصنافه واشكاله فكنا نقسم بين انفسنا تقشير البصل وبشر البطاطس وتصفية الطماطم وكان الريس حسين يجلس والارجيله في فمه ثم يأمرنا بان نكمل استعداداتنا ويقوم فيهيء لنا من يديه عجبا وكذلك كان للعثمانيين مطعم خاص بهم

كلمة حق

وبمقارنة هذه الارزاق التى كان يعطيها الانكليز لاسراهم بما كانت تعطيه الدول الاخرى اتضح لنا اننا كنا اسعد الاسرى عامة مأكلا . وعناية وملبسا .

واما ذلك اللحم الذي لا تذهب رائحته من أنوفنا برغم مضى هذه السنين بعد الحرب علينا فقد كانوا مجبرين عليه لانه كل ما كان عندهم وكان طعام جنودهم وقوادهم وكذلك كان الحال عند حلفائهم واعدائهم وهذا ما يصدق قولنا باستعدادهم المدهش في نصف القرن الذي سبق اعلان الحرب والا لو كانوا اخذوا علي غرة فيها كما يدعون لما كفت

حانوت الاسر (الكانتين)

الحر ناجي المصور المجري الشهير يعلم الاسرى التصوير في الاسر

موارد العالم ملايين العسكر والناس المشتغلة بالحرب شهراً او بضع شهور

وعدنا فعدلنا المطاعم والسكنى وبقيت مع الميرالاي خليل حمدي بك والبكباشي المرحوم محمد امين حلمي بك زهاء السنتين واستحضرنا بذورا من مصر فزرعنا الملوخية وطبخناها ولكننا لم نستطعمها كما هو الحال الآن ويظهر انه كان ينقصها « شهقة الطهاة »

وحدث ان الميرالاي وصلته هدية من المصونة شقيقته وكان فيها ويكه وكركديه وكان الميرالاى يحدثنا عن شراب الاخير ولذته وطعمه ونكهته وبقينا نحلم به الي ان وصلت هديته .

كانت الماء تغلي فوضع البك النبات بيديه وجلسنا معشر المصريين والفناجين أمامنا وضعنا السكر فيها ووضع البك العسل الابيض في فنجانه ثم صببنا وشربنا الى ان انتهينا فشممنا في عقبه رائحة البامية . قال واحد لقد عشنا وشربنا البامية بالسكر وقال البك وانا صدق المثل لقد شربتها بالعسل ! واتضح انه وضع الويكة بدل الكركديه في الماء فكان هذا السهو حديث سمر لذيذ وتسلية

في قوانين الاسر

المادة الاولي : اسرى الحرب بمقتضى المادة الثامنة من ملحق مؤتمر لاهاى سنة ١٩٠٧ خاضعون للقوانين وأنظمة واوامر جيش الدولة الآسرة

المادة الثانية : علي الاسرى ان تطيع كل القوانين والانظمة التي تستدعيها المحافظة علي النظام والصحة

المادة الثالثة : اسرى الحرب مطلوب اليهم ان يعرفوا كل القوانين والانظمة الخاصة بهم والتي تصدر من آن لآخر لهم ويعلموا أن تجاهلها لا يمكن ان يكون عذراً في الخروج عليها

المادة الرابعة : أسرى الحرب بصرف النظر عن درجاتهم ورتبهم يجب عليهم اطاعة اوامر حراسهم والعسكر والضباط المكلفين بمراقبتهم

المادة الخامسة : كل أسير حرب يخالف الاوامر يعرض نفسه للعقاب الشديد

المادة السادسة : اسرى الحرب العسكريين مفروض عليهم تحية الضباط الانكليز الذين يصادفونهم في الطريق وكلما استوقفوهم او سألوهم امرا

المادة السابعة : العصيان او سلوك الاغتصاب او تعمد المخالفة للاوامر مع المقاومة لاى سلطة تقمع بالسلاح والنار

المادة الثامنة : كل اسير حرب تعمد تخطى الاسلاك الشائكة وحذر من التمادي يضرب بالنار

المادة التاسعة : العيب في حق جلالة الملك او حلفائه او قوي المملكة او حلفائها يعتبر خروجا علي النظام .

المادة العاشرة : تعد الاسري مرتين في اليوم المرة الاولى في الساعة التاسعة صباحاً والثانية في الساعة الرابعة بعد الظهر او اي وقت آخر يأمر به القومندان .

المادة الحادية عشر : الخيام والغرف يجب ان تكون نظيفةو حاضرة بعد طابور الصباح للتفتيش

المادة الثانية عشر : كل اسير وجد سكراناً يعاقب

المادة الثالثة عشر : المقامرة ممنوعة بتاتاً

المادة الرابعة عشر : لا يجوز لاي اسير ان يملك في جيبه أكثر من جنيه واحد وكل ما زاد يجب ان يبقى باسمه في خزانة القومندان

المادة الخامسة عشر : تغسل الغرف مرة كل يوم سبت

المادة السادسة عشر : لا يغير اسير غرفته او خيمته بغير امر

المادة السابعة عشر : كل من شاء ان يعرض نفسه على الطبيب يجب ان يقرر ذلك قبلها كل صباح

المادة الثامنة عشر : يسمح لكل اسير ان يكتب خطابين يوم الاثنين والخميس من كل اسبوع على ان تكون في الجوابات التي توزعها السلطة ولا تقفل

المادة التاسعة عشر : لا يسمح للاسير بارسال رسائل برقية

المادة العشرون : غير مسموح للاسير ان يشترك في جرائد تصله بالبريد

المادة الحادية والعشرون : يسمح للاسير ان يأخذ الكتب التى ترسل له بشرط ان يوافق المراقب عليها

المادة الثانية والعشرون : الكتب التي تمجد الاعداء او تنشر دعوتهم لا تسلم مطلقا .

المادة الثالثة والعشرون : الطرود التي ترسل للاسير تفتح بحضوره وتفتش ثم تسلم له اذا لم يكن فيها موانع

المادة الرابعة والعشرون : لا يسمح للاسير ان يرسل صوراً او رسوماً في جواباته على صورته الشخصية .

المادة الخامسة والعشرون : لا يسمح بزيارة الاسير المريض في المستشفى قبل ان يمضي عليه شهر فيه ويجب ان لا تتجاوز الزيارة ربع ساعة وان لا يأخذ الزائر من المريض او يعطيه ورقاً او نقوداً او خلافه

الصحة والاسر

قال الدكتور الصاغ نالفورد « ان نسبة الوفاة ترتفع بطول الاسر وان الاسير يصادف فرصة الموت كما لو كان اكبر من سنه الحقيقي بعشرين سنة وان الوفيات بين المسجونين أربعة امثالها بين طوائف الاحرار الذين في سنهم وكذلك تنمو عوارض السل باستمرار الزمن وقد دلت الاحصائيات على ان الوفاة في الستة اسابيع الاولى من الاسر كانت بنسبة (٢٢ر٧٨) في الالف وارتفعت الى (٢٦ر٣٦) ثم وصلت في السنة الخامسة الى (٤٠ر٧٠) وذلك برغم الاحتياطات الجدية الحديثة وعزل المصابين بامراض معدية او خبيثة . »

« المشير كامل باشا »

رئيس أركان حرب الجيش العثماني

عيشتنا

انقسم الاسرى الى قسمين قسم الخدمة وهؤلاء عرفوا مراكزهم وقسموا العمل بينهم فكان منهم الطهاة والغسالون وغلمان المشارب والفريق الثاني جماعة الموظفين في المصارف والحكومة والبيوت الاهلية وبينهم نفر من كبار الرجال واصحاب المقام والحيثية وهؤلاء الاخيرين كانوا نموذجاً في جمال الاخلاق وكمالها وتأدية واجباتهم. ومسايرة الايام بحسب ارادتها وأمرها لا يرون غضاضة في ان يتقدموا ويخشوشنوا كانوا آخر من يتحرك فرحاً باخبار الفوز والانتصار واول من يثبت في اخبار الهزيمة والانكسار تعلمنا منهم كيف نهزم الاعداء بالصبر على مكارههم ونرغم أنوفهم فلا نمكنهم من مقاتلنا ثم لا نكترث بهم .

اما شباب الاسر من صغار الموظفين وعديمي التجربة فقد نسي غالبهم نفسه وتظاهر بالأبهة الكاذبة واصبحنا لا نرى منهم الا من يحدثنا بأنه كان مديراً كبيراً او مهندساً خطيرا او مدرها بصيرا يستدر من الذهب — في الشهر لا السنة — قناطير .

وكان من مستلزمات ذلك ان يدعو اصحابه كل يوم او ليلة الى غداء او عشاء ربما كلفه ربع ما ملكت يمينه ويخترع لذلك من المناسبات ما يبرر السهرات والسكرات فيوما لعيد ميلادهم واياما لاعياد ميلاد اخوانهم واخواتهم او اولادهم وبناتهم فاذا فرغوا من الاحتفاء باعيادهم

احتملوا بجيرانهـــم او ادعوا وصول خطابات تبشر بنجاح قضاياهم أو فوز اصدقائهم

هذه كانت الاحتفالات الخاصة واما الحفلات العامة فقد كانت تحصل عند وصول البرقيات السارة عن تقدم جيوشهم وتقهقر اعدائهم فكنت ترى الاعلام مرفوعة والصور منصوبة والاسرى تؤلف الموكب تلو الموكب يطوف الثكنة يترنم بأناشيده الوطنيـة وترتفع اصوات السرور والبهجة الى عنان السماء هنالك يكون قسم الخسم قد امتلأ من قاعة البيرة العامة فينضم لموكب ويزداد الصخب واللغب والسعادة في الهرب لان الخطابة تبدأ في كل مكان يتبعها تصفيق يصم الآذان حتى اذا غابت ذكاء قام بالعوض الشموع والكهرباء .

واستمر الاسرى على هذا الحال سنة كاملة يسهرون طول ليلها في الضياء وجوار الصهباء وينامون نصف نهارها ثم يقضون النصف الآخر في سرد تواريخهم ويعيدونها لكل اصحابهم وزوارهم لا ندري أكان ذلك حتى تثبت أكاذيبها في ادمغة ملفقيها او ليتلذذوا بتكرارها من خيال ما فيها ثم اذا هممت ببحثها ضحكت من احكام تلفيقها وكم كان الواحد منهم يسمع من اسير آخر حكايته فيسرع في الانتقال لمجلس آخر ليدعي حصول الحادثة لشخصه وينسبها لنفسه فكانت عبارة واحـــدة يدعيها عشرون حتى مل السامعون والمشاهدون

وتلي السنة الاولى سنة ثانيـة ما كنت ترى اسيراً الا وفي يده

كتاب او كراس يقرأون بالنهار ويلعبون الورق بالليل وحقيقة لا يسلي الاسير اكثر من لعب الورق ولكن الخاسر فيه يعرض نفسه للافلاس الابدي والمهانة الدائمة فالمقامر تلذ له المقامرة في حالتي المكسب والخسارة ولكن من أين يأتي بالمال هنا ليسد شهوة اللعب التي تتأجج في صدره ؟

وكان يكفي ان يبدأ واحد بعمل فيقلده فيه الكثيرون. وابتدأت المشاحنات والمشاجرات والدسائس والشكايات فانقسمت الناس على بعضها وتفرقت جماعاتها لان رابطة هؤلاء كان اساسها الخمر وعروة الصداقة الدعوة الى الطعام وقد فرغ بطبيعة الحال ما كان مدخراً عند غالبهم من الدراهم فبدأوا يتقولون الاقاويل على بعضهم وابتدأت تنكشف حقائق ادعاآتهم فاذا بجمهور الطبقة الوسطى من صغار الموظفين والعمال وجلهم جاهل حتى بلغة بلاده الاصلية.

ولقد انقطع الاسرى في السنة الثالثة لدرس بعضهم دراسة وافية ولا نبالغ اذا قلنا ان الاسر انقلب دائرة معارف كبرى والاسرى اساتذة انقطعوا للتخصص من ابوابها وكانوا يزيدونها لدرجة ادخال العموميات في الشخصيات لا يكتفون بمعرفة الاسير وامه وأبيه وفصيلته التي تأويه ولا يقنعون بما يقفون عليه من أمر صناعته التي كان يشغلها ووظيفته التي كان يؤديها بل يلحفون في السؤال عن زوجه ومن هي وهل هي جميلة

الخلقة او دميمتها وكم قدمت له من المهر نقداً وعداً وكم له من الاولاد وما حالهم من بعده

ولو كان هذا كل ما في الامر لقلنا حباً وكرامة داعية الملل من الاساره بل جاوزوه الى حد لا يستطيعه كريم ولا لئيم ويفرغ منه صبر الغضوب والحليم فكانوا مثلا ينتظرون البريد حتى اذا تناول واحد كتابا تقدم اليه من لم يتناول شيئا باسئلة تفوق اسئلة النيابة المصرية او المستنطق في الحكومة التركية . كم تاريخ جوابك ؟ وهل هو رد على خطاب ارسلته ؟ واذا كان كذلك فما تاريخ ذلك

الجواب الذي جاءك الرد عنه ؟ هل جاءك علم خبر نقود ؟ واذا كان كذلك فما قيمتها ؟ وكم يكفيك في الشهر ؟ وكم يبقى من ايرادك لاسرتك الخ الخ وما تتعرض له عند استلام خطابك يصيبك شبهة عند وصول طرودك !

وعرض لهم في السنة الرابعة ان يصرفوا همتهم في رسم الخرط الجغرافية ومناقشة الحركات الحربية ودرس الخطط العسكرية ومنهم من كان يخيل اليه ان هندنبورج لا يوازيه في معرفته وما كنسن لا يجاريه في علمه ومقدرته الى غير ذلك من الشذوذ وجنون الاسر فنون .

* * *

وانقضت سنة اليأس الاخيرة في القاء محاضرات في الصبر وعواقبه

قهوة بداخل ثكنة فردالا

السينماتوغراف الذي كان يديره الاسرى الالمان

والامل وانتظاره وهذه فكرة جميلة حبذا لو اتبعوها من مبدء الامر ولو ان غالب المحاضرات كان منقولا من الجرائد والمجلات

هذا كان حالنا في مقابر الاحياء مع عظماء الرجال وحثالة الادنياء وما اصدق قول الرصافي

هو السجن ما أدراك ما السجن انه
جلاد البلايا في مضيق التجلد
بناء محيط للتعاسة والشقا
لظلم بريء أو عقوبة معتدي
محل به تهفو القلوب من الاسى
فان زرته فاربط على القلب باليد
توصلت الاحزان في حنياتها
بحيث متى يبل الاسى يتجدد
بها كل مخطوم الخشام مذلل
متى قيد مجروراً الى الذل ينقد
وجوه عليها للشحوب ملامح
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
فسيدهم في عيشه مثل خادم
وخادمهم في ذله مثل سيد

تراهم سكارى في العذاب وماهموا
سكارى ولكن من عذاب مشدد

* * *

اما وسائل اللهو فكانت كثيرة فمن مشارب القهوات الى الاندية والبارات وسينما توغراف وتمثيل والعاب رياضية على اختلاف اشكالها الا ان مسئلة البريد كانت شغل الاسرى الشاغل وكانت الادارة جعلت المراقبة في داخل الثكنة ولكنها خشيت ان يتفق الاسرى مع المراقبين فنقلتهم لغرفة خاصة في مكتب الادارة

وكان الموكل بتوزيعها اثنان من الاسرى واستمرت ترد في اول الامر كل اسبوع بانتظام ولكن وصولها اصبح بعدذلك موكلا للصدفة .ما كان ألذ صوت الموزع يصرخ فينا بكلمة « بوسته » فيتسابق الناس عدواً الي الصبورة ليروا القائمة وهي مقسمة الى قسمين بترتيب الهجاء فواحد من حرف الالف الي الميم فى ناحية ومن النون الي الياء في الناحية الثانية .

هذه حال شبيهة بحال المقدمين في شهادة من الشهادات الدراسية عندنا فتجري الاسرى بوجوه مصفرة وقلوب نابضة يؤمل كل واحد ان يجد ما يطمئن منه على اهله واموا له . او هي كتمر النصيب تماماً ولكن رويد القاري، لا يتعجل في الاخذ بهذا التشبيه الذي كان

يصيب كبد الحقيقة تماماً لو كان كل ما يصل من الخطابات مبهجاً ولكن غالبيا مفزعاً مفجعاً فالذين لا يأخذون يتولاهم من الكآبة ما يتولى والذين يأخذون يقولون يا ويلتنا ليتنا لم يصلنا فلا الذين تناولوا المكاتيب رضوا ولا الذين حرموا

في المستوصف العسكري

(بين مريض وميت وجريح)

ذهبت الى المستوصف بعد ان ضاق بي المعتقل وسئمت البقاء بين اربع حيطان حمراء ولا اشهد منظراً جديداً غير ذلك الذي عفناه طويلا وقضينا عليه سنينا فخرجت في صحبة جندي مسلح وعلى ظهري حقيبة فيها ما خف من الملبس والكتب وجئت اليه على بعد عشرة دقائق من محلة الاسرى وبناؤه جميل ونوافذه منفتحة وما كنت اصدق ان احلم بهذا المنظر يوما !

دخلت فاستلمني الكاتب بالايصال وتناولتني الايدي الى المكان الذي قرر لي تجاه الطبيب وفحصني ثم قرر الاجراءآت التي يتبعونها معي وأخذني المساعد للحمام فبقيت امتع فيه زهاء النصف ساعة ثم لبست الملابس الرسمية وهي سترة ولباس أزرقان ومنديلان احمران واحد يعصب به المريض رأسه والآخر يبقيه بين يديه .

وجاء سريري لحسن الحظ بجانب النافذة فكنت أطل منها لاسمع وأرى ويا لهول ما سمعت ورأيت !

رأيت امامي الجنود الجرحى في الخيام والمرضى تمر للنزهة وفيها فاقد العين او الاثنين والذراع او الذراعين وآخرون يمشون على عصى بعد ان فقدوا ارجلهم او قطعت لهم اوصالهم . وهناك جماعة طار عقلها من الذهول لما اصابها وهؤلاء يتنزهون في صحبة جنود اشداء حتى لا يعتدي المجانين على العقلاء . ولا يصبح المرء الا ويرى سيارات تجري في أثر بعضها هذه تحضر مرضى جددا وتلك تنقل جثث الموتى . فيشهد الناظر الوفا يحضرون ومئات يوارون ويرقب المرضى خروج الجثث بنفوس مضطربة وقلوب منخلعة يظنون ادوارهم آتية وساعاتهم مقتربة وهذا مقام يذعر منه الثابتون .

وسمعت اول ليلة ضجة عالية اعقبها سكون عميق فلما طلع النهار سألت عنها قيل لي جندي هندي بتروا قدمه فضج من العملية ولما أفاق من غشيته ظل يولول الى ان فارقته الحياة . وشهدت اسيراً المانياً في الحلقة الثانية من عمره جاءوا به من غرفة العملية وهو يئن انات تفتت الاكبدة وتنزل الدموع من المآقي المتحجرة ويقول « أماه ! » ولكن من ذا الذي كان يستطيع توصيل هذا النداء البنوي الى اذن امه النائية ؟

وكان بجواري ضابط يلفظ الانفاس الاخيرة ناداني وقال لي « اقترب مني انا لا اسمع . . . ولا . . . ارى . . . سأ . . موت حالا

(الشيخ عبد المعطي الحجاجي الحسيني) يصلي ويقيم الاذان بالعطلة

(الشيخ حسين محمود) العالم الهندي الكبير رئيس كلية مليكره التي رفض أن يبقى عند الاتراك

صورة نادرة لسماحة الشيخ محمود الحسن الديوبندي رحمة الله، المفسر و المحدث الكبير والمعروف بشيخ الهند ، وقد قبض عليه في الحرم المكي في بداية القرن الماضي في الحرم المكي، أيام الإستعمار البريطاني ومعه تلميذه البار الشيخ حسين أحمد المدني رحمه الله المعروف بشيخ الإسلام لقيادته حركة تحريرية معروفة بريشمي رومال تحريك

(حركة المنديل الحريري)

افتح النافذة (وكانت مفتحة) فقلت لبيك واسرعت فناديت المساعد والطبيب فاعلنا وفاته فاصبح جثة هامدة ساكنة بعد ان كان يشعر ويتألم ويتأوه ويتكلم .

كان يحس بعوارض الموت تأتيه ويمتطي سريره كما يمتطي الغارق عامة في الماء فان كان ذاك يشعر بأمل في النجاة كان هذا يشعر بارقة حياة

وهذا العالم الذي لم يضق بشعوبه المختلفة وأممه المتباينة كان في نظره اضيق من سم الخياط . لم يكف هواؤه الذي يحي مئات الملايين ان يرد بعض ما به من ضيق ولهفة ولم يتسع لبعض ما يخرج من آهة وزفرة

بصرت بالموت كعارض يحول مجري الانسان من الكلام الي الصمت ومن الحركة الى السكون ومن البقاء فوق ظهر الارض الي الاستكانة في بطنها ومن مجاورة الانسان ولؤمه وخبث نفسه وفساد طويته الي هوام الارض وطهرها وحسن نيتها وبرئها .

وبصرت به كقوة غير اعتيادية تحول متاعب الدنيا لراحة الأبدية هل تجد في العالم أسعد من راحة النوم وسعادة الغفوة الهادئة ألا ترى انه كلما طال امدها كلما ارتاح الجسم لها ؟ افلا يمكن اذاً ان يكون الموت كذلك .

غريب ان يتطلع المرء لكل تجربة فيلقى بنفسه في احضانها لية تطلع

امرها ثم يجبن امام تجربة الموت فيخشاها ويجمد عندها حذر ان يغشاها مع انها تجربة لا بد أن يلقاها .

* * *

نقل الميت ملفوفاً في العلم الانكليزي وحيت الجثة على ابواب الغرفة شرذمة من الجند تكريماً لضابط شريف مات في الاسر وما اشرف موقف العدو الذي يكرم اسيره في الحياة وفي الموت . ولكن افما كان اطلاقه في حياته خير من تحيته بعد وفاته وألا

— (ليتها لم تزن ولم تتصدق) —

وجاء الطبيب يعودني فرجوته ان يعيدني وخرجت وما كنت اظن انني اخرج على قدماي وبكيت بكاء الفرح بالنجاة النقه من مرض الموت للحياة وترحمت على الموتى ورثيت للمرضى وسألت الله ان يبقيني بين سفهاء وثقلاء وان لا يحكم برجوعي لدار النقاهة والشفاء !

مقابر مالطه

مقابر مالطه في غاية من البهجة والنظام وسط حدائق غناء ولم يكن بها مقبرة للمسلمين الى عهد السلطان عبد العزيز فاهدته حكومة جلالة الملكة فيكتوريا قطعة ارض ليأمر ببناء مقبرة فيها للمسلمين الذين يموتون وهم وافدون عليها للزيارة او التجارة من البلاد المجاورة او غيرها من

انحاء المعمورة فابتنى على الناحية الشرقية منها حجرتين وصاله بينهما جعلت واحدة للغسل واخري للصلاة على الموتى وسور الفضاء الباقي بسور مرتفع متين وجعل بابه في الغرب وبجواره غرفة لخادم المقبرة المالطي وهو يتقاضى راتبه من القنصلية التركية ثم هو الذي يحفر الحفرة ويضع الميت بصندوقه فيها ثم يردمها

ورئيس الجبانه امام القنصلية التركية فيباشر الغسل ويصلي على الموتى

ورأينا امام القبور احجاراً كتب عليها اسماء من تضمهم وتاريخ وفاتهم واعمارهم ويطلب الي المار بهم ان يقرأ الفاتحة ويهديها لهم ·

السلطة في مالطه

كان في مقدور كل اسير ان يقضي ايامه وسنينه من غير ان يكون في حاجة لمعرفة حارسيه او قومندان اسره والحق يقال لا نستطيع ان نعطيهم حقهم والثناء على آدابهم فقد بلغت الرحمة من قلوبهم مبلغاً أثر فينا وهذه كلمة عامة عليهم خاصة بكل افرادهم فمن الميرالاي (ميل) ذلك الشيخ الطيب او البكباشي (فرنون) او اليوزباشى (جات) او المستر (سولتر) أولئك الذين اكرموا وفادتنا وسهلوا علينا مصيبتنا وأخذونا بالشفقة والرفق بقدر ما استطاعوا وسمح لهم الوقت . ولا ننسى ان نذكر هنا ان الفيلد مارشال (ماتوين) محافظ الجزيرة كان اسيراً في يد البوير فتعلم كيف يكون رحيماً بمن يوقعهم الحظ السيء في فخ الاساره .

عظماء الرجال في الأسر

(كلمات أنصاف وشهادة عادلة)

ضمت معتقلات الاسر بمالطه رجالا عظماء في بلادهم كبارا في اشخاصهم لا نستطيع ان نغفل هنا عن ذكرهم فقومندان البارجة أمدن «كابتن فون موللر» والبرنس . ف . جوزف هوهنزلرن سمي امبراطور النمسا وملك المجر الاسبق وأيوب صبري بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقي وأشرف بك مصطفى المقوميتسه جي الشهير وقومندان الفرق المتطوعة والبرنس سعيد حليم صدر تركيا وشقيقه البرنس عباس حليم وزعماء الاتحاديين الذين جيء بهم في عربة من عربات التشهيلات العسكرية وفرحوا بوصولهم لمالطه فرح غيرهم بخلاصه منها لانهم حسب ما سمعناهم يقولون « لقد كنا في مدروس جحيم العالم والآن صدقنا بان مالطه كما يدعى اهلها زهرة الدنيا »

هؤلاء كانوا جميعاً صابرين على بلواهم شجعاناً في مصابهم تحملوا الاسارة بأنفة وفخر وثبات عظيم . وكان شيخ الاسلام خيري افندي الذي كانت تقوم له الدنيا وتقعد يقول « الحمد لله وصلنا الاسمى درجات المجد فما ونينا عن نصرة ديننا وأوطاننا ونحن نرحب بكل مصاب في سبيلها لنكون مثالا لابنائنا واحفادنا في مقابلة الاذي بالرضا والمصاب

كبير الموسيقيين بعاطله نمسوي اعتقل فألف جوقة من الاسرى

غرفة أكل مطعم في ثكنة فردالا

باسمة ضاحكة وقلوب كبيرة واذا كنا أول من انتفع في سفنها بأبهة العظمة فيها أفلا نرحب بالارزاء وقت مصابها ؟ »

لقد رأيت بعيناي سفير انكلترا في الاستانة العلية يوصل الصدر الامير العتبة بابه السفلي ورأيته بعينه يأمر جنديي من الافراد فيأتمر بأمره وهو في ذلة اليوم أعظم منه في أمسه ورأيت شيخ الاسلام هذا الذي أفتى بجواز انشاء مصرف اسلامي يمد المحتاجين بفائدة قليلة وأفتي بجواز أقراض اموال الوقف المدخرة للتجار المسلمين الذين يحتاجونها وافتى بجواز هدم المباني القديمة واقامة عمارات شاهقة على انقاضها . اقول رأيت صاحب المآثر العظيمة في عربته بالاستانة والناس وقوف من الجانبين والعسكر تحييه تحية امراء البيت الشاهانى ورأيته بمالطة ينام على سرير ما كان يرتضيه لنوم خادمه في بلده

أشرف بك

رجل من نبلاء الجراكسة نفى اسرته السلطان عبد الحميد الى بلاد العرب فعاش أشرف بك نحوا من السبع سنين مع البدو يحيا حياتهم ويتكلم لغتهم ويحرص على عاداتهم وأنك لتجد فيه من كرمهم ومن حسن أخلاقهم وجميل خصالهم مايجملك تشعر وانت معه كانك في المجد بيت من بيوتهم وفي رحاب اندى رجالهم ذهب يحمل للامام يحي امانة واموالا وخرج في الحرب العامة بعشرين رجلا من اتباعه فطلع عليه جند الشريف

في خيبر فاسر بعدما استشهد غالب رجاله وجرح في فخذه ثم جيء به الى مصر وبقي في قصر النيل شهرا ورحلوه لمالطه

هو زعيم فدائي اشتهر امره باعلانه استقلال كوملجه في حرب البلقان الاولى وكذلك انتصر انتصارات مدهشه في حرب طرابلس

وللرجل خيال واسع حتى لتكاد تظنه كاتبا مجيدا وله فهم نادر حتى كانه سياسي مقتدر وعسكري نابغ

نذكره بأياديه على الاسرى العثمانيين خاصة والمسلمين عامة فقد أنشأ لهم جماعة مساعدة وطلب للحكومة ان تمدها فلبت نداءها

ثم انشأ مدرسة لتعليم الاميين وفرقة للتدرب على العلوم الموسيقية وجعل للاسر رونقا اخر وكان فيه حركة دائمة

(أيوب صبري بك)

وأيوب صبري بك الذي دعاه السلطان رشاد ليصاهره نظير شهامته وغيرته وبسالته ووطنيته فاعتذر وقال حاشا لله أن اقبل للاخلاص ثمنا أو انتظر عليه أجرا وهم يلقبونه بابى الدستور في تركيا لان له اليد الطولى وهو وطلعت صديقان حميمان وخلان متحابان ولقد بذلت الحكومة العثمانية في سبيل تخليصه من الاسر من المساعي شيئا كثيرا وانك لتجد عن ذلك وعن سيرة هذا الرجل العظيم اشياء كثيرة في كتاب «اسرار البوسفور» بقلم سفير امريكا في تركيا ص (٢١٧ وص ٢١٨)

وذينون بك الذى كان موكلا بحراسه الخاقان السابق عبد الحميد خان له من الخلال الطيبة قسط وافر

* * *

كان أيوب صبري بك الذي نحدثك عن عظمته يقضي السهرة بزملتنا ويواسي مريضنا ويسلي متاعبنا وكان يسامر خادمه كانه من طبقته فيطيع الاسر كاصغر صغير فيه ورأينا بعد ذلك من باشوات بلاده من يقبل يديه فما أصدق الحديث (من تواضع لله رفعه)

وكان في الأسر الفيلد مارشال سنديرس باشا قائد عموم الجيوش التركية وعلي أحسان باشا ووالي ازمير وغير هؤلاء مئات من الكبراء لايتسع المجال لذكر شيء عنهم ولكننا نتحدث في هذه العبارة الاتية عن ابناء بلدنا

(عثمان مرتضي باشا وصهره)

في الثامن من شهر سبتمبر سنة ١٩١٥ جيء بهما ولم ندهش قاطبة بل تنبأنا بأن سيجيء يوم يأتي الانكليز فيه برأس الحكومة رشدي باشا أو احد أعضاء وزارته اسيرا معنا لأن الذى يتهاون في شأن مواطنيه أو يرسم طرق نفيهم او يشجع على ابعادهم لايبعد ان يكوى بنفس ناره ويعامل من جنس عمله . قال الباشا « لقد بلغ الحال بمصر مبلغا اصبح

عيش الحر معه بها متعذرا ولقد كان رشدي باشا وعد بأني سأخرج من مصر للخارج طايقا فماذا جرى حتي لايستطيع ان يبر بوعده ولا يملك أن يمنع الأذي عن ابناء بلده »

بقي بيننا شهرا وبضعة ايام ثم أطلق في مالطـه ليبقى فيها مـدة الحرب الباقية ولـكن عظيما في الامة تشفع له فصـدر الامر بعـودته بعد سنة

سعد باشا ورفاقه في الاسار

« وقفت وما للموت شك لواقف

كأنك في جفن الردي وهو نائم

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي

الي قول قوم أنت بالغيب عالم

هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلا

وراجيك والاوطان انك سالم »

بقينا طول اسرنا ونحن لانسمع عن بلادنا مايرفع بين الاجانب رؤوسنا وكان يخيل أليهم أننا خوارج علي امتنا كلما خاطبناهم وذكرنا كراهة مصر لاعدائها وثورها من اعتداء الاجنبي عليها وكانوا يتساءلون انفسهم اي جماعة هؤلاء الذين لايجاوزون عدد الاصابع مثاين ويريدون أن تنتسب بلد بأسرها لهم في متطرف آرائهم وشدة حماسهم . وبقينا

صابرين علي هزائم الذي واذ أخفوه عنا أدبا منهم وعجاملة لنا ألا أن عذاب ضميرنا بخفوت صوت مواطنينا كان اعظم من أن نقدر علي الاعتذار عنه — ولكن الله اراد ان يرفع من هاماتنا وقد انخفضت الهامات ويكرم منزلتنا وقد هانت منازل امم عظيمة فما كاد يؤذن مؤذن الهدنة في الساعة الحادية عشر من حادي عشر الشهر الحادي عشر سنة ١٩١٨ حتي بدء روتر يذكر عن مصر واماني اهلها واشتداد الحركة الوطنية فيها وبدأنا نفخر بمصريتنا ويقول كل واحد فينا ماقاله مصطفى فقيد الوطن قبلا « انني أن لم أولد مصريا لرددت أن أكون مصريا »

وجاءوا بالبشوات الاربعة من هيئة الوزراء الاجلاء والعظماء ووضعوا في شكنة بفارستا وعوملوا معاملة الخدم الذين اعتقلوا معهم فى الماكل والمشرب وكانوا في السكني كباقي الاسرى الذين يقلون طبعا عن طبقتهم ولله قول المتنبي في مثل موقفهم

ذريني انل مالا ينال من العلا
فصعب العلى في الصعب والسهل في السهل
تريدين لقيان المعالى رخيصة
ولا بد دون الشهد من أبر النحل

وكانت وهلة الحمى تمتلئ بالاسرى فتكافئوا تبادل الزيارات في الشكنات وطلب الى أخواني ان احيي معالي الرئيس واخوانه بخطاب فجاءنى منه الرد الاتى

مالطه في ١٥ مارس سنة ٩١٩

حضرة الفاضل محمد افندي عبد الرحمن الصباحي عمدة مصطاي

عليك وعلى اخوانك السلام واشكرك جميل الشكر على ما أبديت من الشعور الراقي وكنت عازما عقب وصولي على زيارتكم واخواني المصريين وابلاغهم سلام اخوانهم ولكن الحجر الصحي على جهتكم منع ذلك مؤقتا وان شاء الله عقب زواله سأجتهد في التمتع بهذه الزيارة وارجو ان تبلغوا فائق شكري واحتراماتي لسائر الاخوان الذين انابوكم في الترحيب بنا واخواني يشاركونني في الثناء عليكم نرجو الله سبحانه وتعالى أن يحقق آمالنا وآمال جميع المصريين

سعد زغلول

وما كادوا يفكون الحجر الصحي حتى دعوناهم لحفلة حافلة وهرعت الوف الاسرى لرؤيتهم والتزاحم على تحيتهم وتبادلوا التسليم على كبراء الاجناس المختلفة فلما فرغوا جاءوا لغرفة المرحوم محمد امين حلمي بك وهناك لقوا المائدة التي اشترك المصريون جميعا في تهيئها واعداد معداتها وقام المرحوم فقال

« ان هذا اليوم عيدنا ونخر ايام اسرنا واذا وجد من غبطكم في الماضي على تلك المراكز العظيمة التي اهلتكم كفاءتكم لاعتلائها فأن التاريخ يحسدكم على مركزكم في الامة اليوم فأنتم لمصر اليوم كما كان

روبسبير واخوانه لفرنسا وأني لأتنبأ بأن سيكون لبلادنا من الفوز أيضا ما كان لبلادهم . فأنت « وأشار لصورة عزيز معلقة في رأس الغرفة » لا تحزن ولا تحزن وانت يامصر ابشري خيراً لقد قرب يوم خلاصك ببركة هؤلاء المخلصين البررة من ابنائك : وجلس بين تصفيق الاعجاب وأعجاب الحاضرين وقام كاتب السطور فقال

يازعيم الوطنية ويا ابطال الوطن

. لو استطعنا ان نتقدم بين ايديكم وقلوبنا على اكفنا لقرأتم صفحة البشر بتشريفكم والاخلاص لاشخاصكم ولرأيتم خيال القول مجسما بتمثال الحقيقة فاذا قارنتموه بغضبة اهل البلد لكم رأيتم فينا صورة مصغرة منهم ثم لعلمتم بعد ذلك ان ماتنطق به السنتنا فيكم لم يك الا ترديداً لصدي اصواتهم

وأننا بالرغم من الاسارة وامتدادها سنينا وبقائنا بين الاسلاك الشائكة زمنا طويلا معذبة نفوسنا بسوء حظ بلادنا مضمحله بمصائب اسراتنا وخراب بيوتنا لم يتسرب لعقيدتنا اى شك في بلادنا ولم يغب ابداً عنا « ان الحق اغلب »

هذه الروح فينا لم يقو احد عليها وبهذه الروح نتقدم اليكم ونرجو ان تقبلوها هبة لكم وان تحوز هذه الهبة بعض قبولكم فنكون قد قمنا ببعض مايجب نحو بطولكم وهذا اغلي مانملك في كل آن

واذا كان تقديم الروح في الايام الخالية فداء لابطال البلاد تعبير مجامله فقد رايتم الان كيف اصبح هينا — لا لان ارواحنا رخيصة كلا فان تضحية الدم التي قدمها ابناء مصر لخير بلادهم اظهرت قيمة دمائهم واورت بان تاريخ الاستقلال في العالم لايعرف دما اغلى من دم مصر

وهل جري قبل الآن فينا دم غير الدم الذي أوجدته تربة بلادنا وطينة ارضنا ؟ كلا ولكنه كان كالذهب يعلوه الصدا لاتحكه حتي يتوهج ويتلألأ فنحن صبرنا الى أن حانت الساعة فاستلفت جوهرنا نظر العالم وأبهره وأدهشه فا كبره

وانت ياسعد كنت صائغنا وشمتك وهمة الامجاد زملائك يرجع فضل عرض جوهرنا ونحن اذا افتخرنا بالمعدن لاننا منه فان افتخارنا بك وبزملائك لانكم اعليتم من قدره ورفعتم من شأنه وجعلتموه جديرا بأن يكون تاج الوجود ودرة الازمان ونحن واثقون بان مصر بالغة بكم مرامها واصله باذن الله لاستقلالها فما طاش سهم امة في رأسها سعد .

قام سعد باشا بعد ذلك والعبرات تكاد تخنقه وتفضل فقال

اخواني الاجلاء وزملائي الاسرى الاعزاء

اسمحوا لي بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن اخواني ان اشكر

الفيلد مارشال اللورد مثون واركان حربه وقومندان الاسر
الميرالاي نيل والكبتن بريطا والمستر سوار

ثكنة فردالا . وفوق سطحها جنود النوبة للحراسة

كرمكم واثني علي هممكم واهنيكم علي هذا الصبر الجميل الذي صبرتموه خمس سنين كاملة ونحن مزمعون الرحيل علي بركة الله فنجاهد في سبيل وضع حد لوجودهم في بلادنا واعتداءاتهم علينا واذا سألونا اين برهاننا على اننا نمثل امتنا أشرنا اليكم في معتقلاتكم وألي الشهداء الذين اهرقت دماؤهم

لقد عذبونا بحق القوة المشومة فنفوكم من بلادكم واخرجونا من من ديارنا وهم يظنون انهم بذلك يقضون على الاصوات التي ترتفع بطلب رد حقوقنا الينا الاساء مايتوهمون ثقوا بأن اول عمل لنا سيكون السعى في سبيل اخراجكم من مقابر الاحياء واعادتكم للــوطن والاهل والاخصاء وقريبا نجتمع بكم في مصر المستقلة فتنسينا حلاوة فوزهـــا مرارة ماقاسينا في سبيلها »

* * *

ورحل الباشوات الي اوروبا وتركنا نصف سنة في محلاتنا لا نعرف متي يأتي يوم خلاصنا الى ان سقطت وزارة رشدي وجاء الفرج القريب على يد الوزير النابه سعيد وربطنا أمتعتنا واستاقونا في عربات النقل لباخرة نقلنا وأنزلونا في دورها الخامس وقضينا يومين وفي صباح الثالث اقتربنا من شاطىء الاسكندريه فبانت عروس البحر الابيض تتجلى في ثوبهـا القشيب وبهائها الجلي وجمالها السني فتساورتنا أفكار شتي وخطر ببالنـا

خواطر مختلفة فكان منا الفرح بلقاء أهله بعد غيبة سنين وكان منا
المأخوذ لمصابه الجلل لا يدري اين يذهب وكيف يعيش وهل تمتد
التعاسة به وبأقاربه فلا يخط قلم الحظ له الا شقاء مستمراً وأخذني ذهول
ودوار فغفلت عن رؤية المدينة الجميلة وكنت كلما اقتربت سفينتنا منها
اشعر بحمى الحزن والأسى فما تطلعت لها ولكني رفعت بعيناي للسماء
وقلت « رب جلت قدرتك وعلت كلمتك يا من لا يحمد على مكروه
سواه ولا يدعى في الشدائد الا اياه اذا عظم ذنبي لديك فأن عفوك أوسع
من أن يضيق بي ولئن تمهلني لا كفرن عن سيئتي وأعمل حسناً والا فأن
عودتي حياً بعد أن خرب البيت وتشتت الاسرة لعذاب عظيم وكيف
يتبدل المرء حياة العز والرخاء بأخرى لا حد لذلتها وقصورها ولا نهاية
لمصابها واستحالة احتمالها فمن علاء في مدار الافلاك الى دنو هوى الى
مقر الأسماك وهل يطيق القلب أن يصبر على حال أرى فيه احتياج
الأقربين ولا أقوى على سدها ومصائب الاولاد والوالدين ولا أملك
دفع بلائها وكيف تحملني قدماي فلا تخوران وتطيعني عيناي فلا تعميان
واستطيع العيش في جو المحن والأرزاء والأحزان والبلاء ثم أليس كثيراً
ان تعود لبلد كنت فيه موفقاً في عملك موفور الحياة في رزقك وتجده
ازدان في سني غيبتك فزادت رفاهة أهله شأناً وعلواً مقاماً وسلطاناً
فأين تذهب معهم والى أي حد تستطيع أن تغشى مجالسهم أو ترداوساطهم
وأنت تعود من غربتك ولا يعلم الا الله وقع أوبتك عليك وعلى أهلك

وصحبتك . وألقت السفينـة عصا التسيار على شاطىء الديار وأنشدنا قول شوقي

ويا وطني لقيتك بعد يأس   كأني قد لقيت بك الشبابا
وكل مسافر سيؤوب يوما   اذا رزق السلامة والايابا

واستقبلنا جماعة الجمرك بما لا يذهب اثره من النفس من بشاشة ولطف وانسانية وظرف وقدمت لنا القهوه ومنها قدح من ماء النيل فما خطر بالبال ان نرشفه وانما اغرورقت العيون بالدموع لرؤيته ووضعنا الكوبايات في ايدينا متأثرين بمظريته ثم قال البعض أفلا نضعه على رؤوسنا لتجلته وقال الاخرون بلى نستبقيه في ايدينا ونحمد الله على نعمته. ماء النيل لا ليطفي ء ظمأً او يرطب غليلا ولكن ليحيي نفوسنا او ينعش اجساداً وأرواحا . ماء النيل او ماء الحياة منبع رزق امتنا وكنز خيراتنا وأصل شرابنـا ماؤه نادر وطينته خير وافر وله في النفوس اثر خاص وسر عجيب وان ماتسمعه من كرم اروبة المصري وخصائله وبشاشته وحسن مناقبه مستمد من هذا النهر المقدس الجليل ثم قرىء علينا تلغراف ترحيب بنا ارسله معالي رئيس الوفد سعد زغلول باشا لحضرة المحامي امين بك يوسف وهو بنصه « اكرموا المنفيين المصريين كما اكرمونا وبلغوهم اسمي تهانينا » ودعينا لحفلة ساهرة باوتيل ماجستيك فقبلنا الدعوة شاكرين وكانت السيارات كملت فاقلتنا لمنزل وزير الوزراء محمد سعيد باشا وسارت بلمح البرق الى ان جئنا لمنزل الباشا في رمل الاسكندرية وتاخر في طلبنا

فاستحوذ القلق علينا حذر ان تظلم الدنيا فلا نعرف كيف نسير في الشوارع بعد ان طال بناعهد المحبوس فلم نر تراما يسير ولم نمر بين عربات تمر وتكر

وخرج الباشا من مقصورته واستدعانا لحضرته فاذا بنا عند شيخ جلل المشيب رأسه وتهود جت كلماته قال لقد تعبنا الى ان توفقنا لفك اعتقالكم والحمد لله على سلامة وصولكم وان لكم اليوم ما لاهل البلد وعليكم ماعليها واني لموصيكم بالهدوء التام والسكينة الكاملة

وانه لمن الانصاف وعرفان الجميل ان نذكر لهذا الرجل مروءته علينا وبره بنا وسعيه في افتكاكنا من اسرنا فقد عرضت قبل اليوم لرشدي باشا فرصتين تولى فيهما الرياسة دفعتين وفك اعتقال زغلول باشا ومن معه ولم يفكر في ان يذكر تلك الضحايا التي قضى عليها في ايام وزارته واصيبت بمحنة الاسر في عهده وظن محمد سعيد باشا انه يدخل علينا سرورا كبيرا فأمر بان نستريح ليلتنا هذه في ثكنة فقال قائل منا افتتفضل باخراجنا من حبس لاخر قال واين اذا تنامون من غير كلفة عليكم قلنا بفندق من فنادق ثغركم قال وليكن احسنها وعلى نفقة الحكومة فخرجنا شاكرين لفضله ذاكرين ليده واستقلتنا السيارات في اثر بعضها في الاوبة ولكن من غير سرعة اول دفعة فكان منظرنا مما يستلفت المارة للتساؤل عنا فكانوا يقابلوننا بالتصفيق الحاد من الجانبين

بعض الالمان في قاعة بيتاولون الجمة بسطاء

كبار « الاتحاديين » في مالطه

سلوة عظمى انستنا أحزاننا وذكرتنا بلذة التضحية في سبيل بلادنا وذكرنا لفورنا قول الشاعر المجيد

بلادي وان جارت علي عزيزة

وقومي وان ضنوا علي كرام

وجئنا مع السير الحثيث في برهة وجيزة للنزل وما كدنا نخلع ثياب السفر ونستريح من عناء الطريق قليلا حتى نهضنا الى الاستعداد لتلبية دعوة « الثغر الاسكندري » في فندق (ماجستك) فذهبنا من « ابات اوتل » اليها في عربات حذر اخطار الطريق ودخلنا من الباب للبهو فرأينا مالا عهد لنا برؤيته وسمعنا مالم تتعود الآذان من زمن بعيد ان نسمعه فمن ثرايا تنير المكان فتجعل الليل كانه ضحي الي مرايا شاهقة يتضاعف فيها النور وتكثر بها البهجة والسرور وستائر وتحف ، وغاديات فحت زهاوتها بعض أثر نكبتنا وانتعشت بها افئدتنا وجئنا لسماط ممدود عليه من اصناف الاطعمة والوانه ما لم يبق في النفس شيئا وعليه من الشراب ، وبديع الاكواب ، ما يميل بالعابد لارتشاف رحيقه ويغريه بالخروج على تعاليم دينه ، وقام الاستاذ امين يوسف بين انصات الحضور من اكابر المصريين وأجاويدهم فقال « نحن نرحب بهؤلاء الذين اخرجوا من ديارهم ونفوا في سبيل حب وطنهم وانا لنمجد فيهم روح التضحية الجميلة النباضة بالامم لذروة الفلح ونرجو ان يجدوا بيننا مقاما طيبا يعوض عليهم بعض ما تكبدوه » وعقبه خطيب آخر نحا نحوه ، واقتفى

بجمل خلابة أثره ، وقت فقلت

سقوني وقالوا لا تغن ! ولو سقوا

جبال حنين ماسقوني لغنت

سادتي : لاول مرة بعد واحد وستين شهريا نشعر ببركة دعوتكم الكريمة بخروجنا من حياة الوحدة والوحشية ورجوعنا الي حظيرة الجمية البشرية . لا نعيد علي مسامعكم ما تجشمناه من مصائب فذة وآلام عظيمة وعذاب أليم ومتاعب جسيمة فقد سمعتم بها أو شاهدتموها أو علمتم عنها فتقدرتموها وانما نذكر ان حفاوتكم أنستنا مصابنا الجلل فقد كنا نتخيل ان سندخل بلادنا كما يدخل اللص المنزل أو القس الهيكل لا نشعر بأحد ولا يشعر بنا أحد وأذا بالبلاد تحتضننا وتوسع اذرعتها لنا وترحب في اشخاصكم بنا ونحن لاعضائها التي ظن العدو أنه قد هان عليها يتمها منها وسهل عندها اعدامهم فيها ونسيت ماحاق بهم من اجلها ! ولكن كيف لا يشعر الجسم بالم أعضائه ؟ ألم يكن الاعتداء عليها واقعا على المجموع باسره منتهكا لحرمة قانونه ونظامه وحريته وشرف وجوده

ان هذا الاحتفال دليل نعيظكم لمصابنا والمكم مما تمرضنا له وقاسيناه هذه حفاوة تاريخية يجبركم الايمان بالوطن عليها ولا نشعر باننا نستأهلها لا استصغارا لشأننا ولكن لاننا لا نستطيع ان نمن علي بلادنا بتضحياتنا ولا ان نقبل شكرا على واجب كان كل واحد في الامة يفتخر بشرف

اداته فنحن نحمد الله على ان خصنا بنعمة « الاسر في سبيله » وكذلك نحمده على تقديركم لبلائه

ايها السادة : أن الظلم ظلم سواء اقامت به محكمة التفتيش في اسبانيا او نيرون واشباهه في القرون المظلمة او ارتكبته ارقى الامم المتمدنية فحبل المشنقة قتال سواء أكان من الحرير أو فاتك الحبال

وفي الظلم الذى ترتكبه الايدي العاتيه بحق القوة المشومة بذور الحرية الصالحة فنحن رحبنا بها وعلى الامة أن تفرح بانتشارها بينها فانها ابلغ منشط لها كلما همت ان تنى او تثبط همتها في المسعى او انعدوها قوى ولكن جنان الامة أقوى وما عرف التاريخ امـــة استطاعت ان تهضم أخرى .

ان ذوات اجسامنا وأنفاسنا وأموالنا واولادنا فداء لبلادنا فنحن فخورون حقا بتضحيتنا عاجزون تماما عن شكر احتفائكم بنا معتقدون بانا سنجد في عامر منازلكم ماينسينا خراب بيوتنا وفي اخلاصكم مايسلينا عن فقد اسراتنا ونعدكم بأن حب مصر سيبقى دائما ملء قلوبنا وسيبقي كذلك أثر استقبالكم فينا

* * *

وعدنا الى المنزل وعائلتنا ثم لقيت بعض الأهل جاء ليرافقني لقريتي مصطاي فسافرت بالقطار الى طنطا ثم الى مصر ثم عدت بسيارة للقريه فهرع أهلها جميعا للقائي

* * *

أن المقارنة بين حياتي الماضية وحياتي الحاضرة وما عاملته في نفسي استقبالات أهل قريتي وهذه القلوب التي التفت حولي التفافا يفوق ذلك الذي كنت اراه في أوج مجدي وتلك التغييرات التي حصلت في غيبتي ومنها انتقال املاكي كلها لملاك آخرين وهدم قصري وأزالة بنائه أثقلت تصوراتها رأسي وكاد يغشى علي من تأثيرها وكان ذلك كله حلم طويل « خمس سنين في الاسر » انه لصبر جميل

* * *

وانتهيت في منتصف الليل من التسليم على أهل القرية واجتمعت للصباح حول الاسرة فحدثتني بما جرى لها ومصائبها واهوالها وتعاستها ببعادي وما حل لها بعدي وكيف بلغ منها الضنك والضيق وشمت بها العدو وكمد الصديق وحدثتهم بما أنزل الله علي قلبي من الهدوء والسكينة ونعمة الاطمئنان في المصيبة وكيف تعمدوا نفيي بلا عودة وقدر الله برغمهم هذه العودة فليذكر البائس واليائس قوة الله وقدرته وليسر بها عن نفسه فان رحمة الله اوسع من ان تنسي عبدا وعدالته اكبر من ان تعين ظالما

المرحوم محمد أمين بك حلمي

كل حي يخالط العيش في الدهر وكل تعدو عليه العوادي

مات زهرة الشباب زميل الأسر محمد أمين بك حلمي فانطفأ

وته مصباح من مصابيح أمل مصر وراحت واءسفاه همة شق على الامة ان تضيع وهي في أحوج وقت لها وذهب أعتداء نذل سافل برجل خطير باسل فلم تتركه هذه اليد الشريرة الآثمة تفرح به اسرته وتنتفع من ذكائه النادر أمته . ولقد بلغ من سرعة ارتقائه أن رقي لرتبة اليوزباشي في سنتين من خروجه من المدرسة واستاء من معاملة مديره فقدم استعفاءه وقال وهو يناولها له (سأذهب لبلاد الانكليز وأعود بشهادة لا تقل عن شهادتك) وفعلا سافر وعاد بهذه الشهادة

كان مخلصا لعمله لا يبالى بدسائس زملائه ولا بمكائد نظرائه وكان يحتقرها فينتصر عليها وربما توفق له أن يفترس بعدوه فيكبح بدهشة جماح نفسه ويكتفي بتأنيب خصمه ولو استطاع بعد ذلك أن يخدمه لا يتأخر مطلقاً عن خدمته

وكان في الاسر لا يبالي بعصابه ولا يتوجع لاوصابه وبقيت معه في غرفة واحدة سنتين . ولو شاء أمين أن يغير من مبدئه وينتمي لغير سيده لما رأي مالطه الا زائراً ولا رأته الا سائحاً متفرجا . ففى ذمة الله هذه الصفات العاليه والاخلاق النادرة . وفي ذمة الله عشرتك الطيبه أمين

أأبكيك ما فاضت دموعي فأن تغض   فحسبك مني ما تكن الجوانح

﴿ الاستاذان عبدالله بك سليم البشري والدكتور سيد بك كامل ﴾

كانت كلمات عبدالله بك البشري وبطاقات الدكتور سيد بك كامل النادي العزيز تنسينا اشتداد الايام بناوتلهينا عن التفكير فيما انتابنا ولولا أن

المقام وظروف هذه الايام لم تسمح بنشر هذه الآيات الخالدة لبر
كتابنا بمضها وختمناه بمسك البعض الآخر منها ، وما نريد بذلك
لنرفع عن عنقنا دين مروءتهم بنا وتسليتهم لنا

* * *

يد البطل أحمد بك لطفي

(ومروءة الخواجه موسى مراد نجار)

وقدر لي أن استعدت بعدذلك من المال ما تيسر ومن الجاه ما ا
بعون الله وعنايته وبيركة اهتمام ذلك الوطني الفذ والهمام الجليل احمد
لطفي شيخ المحاميين وواحد المروءة في هذا البلد الامين لم يدخر و
الا بذله ولا فكرا الا بسطه وكان يبلغ مني الحزن لدرجة القنوط ف
القاه الا اعود قرير العين مسروراً . ولقد صح نظره الثاقب في قط
كما هو الحال معه في كل عمل يريد الله بصاحبه خيراً فيمهد به اليه وك
في أقرب وقت لا يسعني معه الا أن اتوجه لله بالشكر وله وللخوا
موسى مراد نجار البنكير الكبير بمصر والافوكاتو جول كاتسفل
بالشكر عظيم الاجر أولئك الذين أحسنوا الاهتمام بنا مدفوعين بال
الوطنية والاحساسات العالية كافأهم الله من فضله وجازاهم عنا خيراً

خاتمة

قضينا في الاسر خمس سنين كل يوم فيها كألف سنة مما تعدون تمر
فيها لكل بلاء وهون وسنوا الحزن طوال ولياليه لم تخلق على أي م

أخذنا والحرب آخذة من كل قلب . بالغة في النفوس مبلغ الالب . ثم وضعت الحرب أوزارها وبقينا في انتظار ان تنطفيء جذوتها او يهبط أثر تأججها في غير البلاد التي لم تشترك فيها الا قهراً ولم تنضم لها الا قسرا . وقدمت رغم ارادتها وقودها من أهلها وماملكته ايمانها فأذا بنا نعود فلا نسمع من السلام الا اسمه ولا نرى غير رسمه وأي سلام ذلك الذي لا يعود الناس من حربه الا ليذكروا مصاب بلادهم التي يكافئون مساعدتها لهم بحرمانها من حقوقها واعلاء سيف الاحكام العرفيه علي رقابها

لقد ذهبت الحرب بطريفهم وتليدهم واكلت ما تجمع في قرون الصفاء عندهم من قناطير الاموال وهمم الرجال ولو ان استماتتهم فيها ذهبت في سبيل تعمير صحراء لتقلب بما جنه فيحاء وروضة غناء او لو ان ملايين البشر التي راحت ضحيتها القيت في اليم لاقامت جسراً متيناً من الاشلاء يستطيعون ان يلحموا به بلاد فرنسا ببلاد الانكليز مثلا

والآن يتبصر ابطال هذه المأساة في آثار جرمهم وآثام ايديهم فهل يتمكنون من مداواة الجروح التي فتحوها في جوانب الناس والبلدان وجناياتهم التي جنوها على المدنية والعمران . ان الهوة التي خلقوها وعملوا خمس سنين علي توسيعها لا يمكن ان تلتئم حتى في اضعافها وحلفوا لئن انتهت الحرب علي ما يشتهون ليوفرون على العالم حروبه الجديدة وليضعون حداً للاعتداءات الاثيمة . وحلفوا ليردون المظالم التي

ارتكبوها وليعيدون للناس سيرتها الاولى . وحلفوا بأن الحجر الذى اخذوه برغم اصحابه لحاجتهم اليه يدفعونه حجرين . وحلفوا وحلفوا مما لم ولن يبروا به ولكن حلفهم سيظل كالبقع السوداء في جبينهم فينغص عيشهم ويسوىء سمعتهم . واذا قامت الحرب المقبلة ، وقريباً تقوم (ان شاء الله) ان لم يكن في الارض ففي المياه . فيكون فيها القضاء المبرم عليهم لان خطاياهم الماضية تبقي نذرسوء لكل من فكر في الانضواء تحت لوائهم: ولئن ارتكنوا على مكسب الحرب الماضية فما كل مره تسلم الجره

ثم قالوا لنا عودوا لبلادكم ولكن اي فضل في ذلك لهم ؟ ان كل شخص في الامة كان معرضاً لما تعرضنا له ولو ان الجناية علينا نائبة في الظاهر بين السلطتين ولكن اثرها في الامة سارا ومفرحا . انه جعلها تحذر اعداءها ولا تركن لاصدقائهم ونحن رحبنا بما لاقيناه وقابلنا الاذى بالرضا ذاكرين قول الله جل وعلا (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين) هذا خير ما نختم به مرددين ترنيمة صديقنا النابغة الاستاذ مصطفى الشوربجي

فابعدوني في هواها انني | آثم ان لم اعذب للوطن
وامنعوني كل عذب في الدنا | غير كاس الموت في حب الوطن
واكتبوا فوق رفاتي اسمها | وعلى قبري فليحيى الوطن

انتهى . بعون الله وتوفيقه

كيف كانت توزع الطرود بعد أن تفتح بمراقبة الجنود الانكليز

المطبخ العمومي وقاعات الاكل والطهاة في ثكنة سنت كلمنت